الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي - الأغواط

كليـــة الآداب و اللغـــات
العمـــادة

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Amar Télidji - Laghouat
Faculté des Lettres et des Langues
Doyenné

مستخرج من محضر المجلس العلمي

لكلية الآداب واللغات

رقم 04الموافق لـ 10جويلية 2019

فـي جلسته المنعقدة يوم الاثنين 10 جويلية 2019 صادق المجلس العلمي لكلية الآداب واللغات على مطبوعة الدكتور شتيح بن يوسف أستاذ محاضر – أ- من قسم اللغة والأدب العربي لطلبة السنة الاولى جذع مشترك

الموسومة بـ :" دروس في مقياس علوم القران "

بعد الاطلاع على تقارير الخبرة المقدم من طرف كل مـن :

3- **الدكتور(ة) : حبيبة شهرة جامعة عمار ثليجي الاغـــواط**

4- **الدكتور(ة): جخدم فاطمة جامعة عمار ثليجي الاغـــواط**

رئيس المجلس العلمي

رئيس المجلس العلمي لكلية الآداب واللغات
إمضاء: أ.د بريهمات عاشور

العنوان : ص.ب. رقم : 37 ج الأغـواط
الموقع : Mail : Http://www.lagh-univ.dz
الهاتف: 029.93.21.26 / 029.93.17.91 / 029.93.21.17 / 029.93.10.24 / 029.93.32.05 / 029.93.21.32 الفاكس : 029.93.26.98

جـامعة عمــار ثلـيـجـي - الأغــواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

دروس في مقياس
علوم القرآن

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك

الدكتور: بن يوسف شتيح
أستاذ محاضر "أ"

السنة الجــامعية: 2019/2018

جـامعة عمــار ثلـيـجـي - الأغــواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

دروس في مقياس
علوم القرآن

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك

الدكتور: بن يوسف شتيح
أستاذ محاضر "ب"

السنة الجــامعية: 2019/2018

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فأضاء للبشرية حالك الظلمات، وأحيا النفوس بوابل صيب بعد موات، الحمد لله الذي أكرمنا بالعلم، وجملنا بالحلم، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة خيره إلينا نازل، وفضله علينا واسع وشكرنا له قليل، وبصرنا في آياته ومخلوقاته كليل. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين المصطفى المختار، فتح الله به قلوبنا غلفا وبصر به أعينا عميا، وأسمع به آذانا صما، أكمل به الدين، وأتم به النعمة وعلى آله وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان وبعد،

يقول ابن حزم الظاهري في كتابه الإحكام في أصول الأحكام: "الوحي ينقسم من الله عزوجل إلى رسوله على قسمين، أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام، وهو القرآن، والثاني: وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام، ولا متلو لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله، وهو المبين عن الله مراده منا ... فالقرآن والخبر الصحيح بعضهما مضاف إلى بعض وهما شيء واحد في أنهما من عند الله تعالى وحكمها حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما".

إن إدراج مادة علوم القرآن في مناهجنا التعليمة الجامعية لطلبة اللغة والأدب العربي يعد عملا في غاية الأهمية ليقف الطالب في خطواته الأولى على عتبات القرآن الكريم، ليطلع على أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية، ويتابع المراحل التي مر بها جهد جمع القرآن وترتيب سوره وآياته من عصر النبوة إلى عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ومكونات النص القرآني من لفظة وعبارة وآية وسورة، وقصة في خصائصها وأهدافها، ويدرس الطالب أسباب النزول بإعتباره سيافا سببا يعين على فهم النص القرآني وسبر أغواره، ثم السياق المكاني الذي صنف به القرآن إلى سور مكية وسور مدنية والاطلاع على المعيار في هذا التصنيف ثم السياق التراتيبي في معرف أول ما نزل وآخر ما نزل وظاهرة الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم.

كما يتلقى الطالب نصيبا عن علم القراءات القرآنية بإعتبارها سياقا تداوليا بأنواعها ومراتبها وحكمها، ثم يأتي باب التفسير والمفسرين بمناهجهم المختلفة ومدارسهم المتنوعة ليعرف الطالب كيف نشأ تفسير القرآن من عصر النبوة إلى عصر الصحابة ثم التابعين ومن بعدهم، وما هي شروط المفسر العلمية والذاتية، وأنواع التفسير سواء أكان بالمأثور أم بالرأي وخصائص كل منهما وأبرز أعلامهما. مرورا إلى التفسير اللغوي وخصائصه وأعلامه، والتفسير البياني وأهم ميزاته ورواده وصولا إلى ظاهرة الإعجاز القرآني لغويا كان أو بيانيا أو إخباريا أو تشريعيا، ينتظم ذلك كله من خلال البرنامج المقرر من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مع شيء من الإضافات والإجتهادات التي تثري المضمون وتحقق المطلوب.

حاولت في هذه الدروس المختصرة والجامعة أن أقدم مادة علوم القرآن لطلبة السنة الأولى ميدان لغة وأدب عربي في تخصص الدراسات الأدبية واللغوية بقسم اللغة والأدب العربي بكلية الآداب واللغات جامعة عمار ثليجي بالأغواط. وتأتي هذه الدروس لتحقق الأهداف التعليمية والتربوية التالية:

1. لقد نظر الطالب إلى أهمية القرآن الكريم في الدراسات اللغوية والأدبية.
2. ربط طالب اللغة والأدب بالكتاب العزيز في أولى مراحله التعليمية.
3. تعريف الطالب بآفاق الدراسات القرآنية الواسعة والعلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم.
4. فتح ذهن الطالب بآليات ومفاتيح فهم النص القرآني من خلال الإطلاع على أهم علوم القرآن.
5. تمهيد السبيل للطالب أمام الدراسات اللغوية والأدبية للقرآن الكريم.
6. إيجاد نقطة التوازن بين الجانب الفقهي التشريعي في القرآن والجانب الأدبي اللغوي فقد عرف التأدب بأدب القرآن إلا متمما للفقه بأحكامه في جميع العصور الإسلامية.
7. تزويد الطالب بشيء من الآليات تمكنه من حسن التدبر لآي الكتاب العزيز.

وفي هذه الدروس لا أدعي أو أزعم أنني قد وفيت بالمطلوب ولكنه جهد أقدمه اجتهاد أزود به طلبتي الأعزاء ممهدا لهم الطريق نحو علوم القرآن. والله أسأل أن يكتب به القبول وجزيل الثواب والله من وراء القصد وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل.

الدرس الأول:
علوم القرآن نشأته وتطوره ومؤلفاته

1. التعريف بالعلم وبيان نشأته وتطوره
2. أشهر مؤلفات علوم القرآن عند القدماء والمحدثين

1. التعريف بالعلم وبيان نشأته وتطوره

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز، انزله الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فكان صلوات الله وسلامه عليه يبلغه لصحابته ــ وهم عرب خلص ــ فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها.

روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال: "لما نزلت هذه الآية (**الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**) [الأنعام: 82] شق ذلك على الناس، فقالوا يا رسول الله: وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) [لقمان: 13]؟ إنما هو الشرك.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر لهم بعض الآيات.

أخرج مسلم وغيره من عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**) [الأنفال: 60] ألا إن القوة الرمي.

وحرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه وفهمه وكان ذلك شرفا لهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: "كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا" أي عظم ــ رواه أحمد في مسنده.

وحرضوا كذلك على العمل به والوقوف عند أحكامه.

روي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: "حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعامل جميعا". رواه عبد الرزاق بلفظ قريب من هذا.

ولم يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابة شيء عنه سوى القرآن خشية ان يلتبس القرآن بغيره.

روي مسلم عن أبي سعد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار".

ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذنن لبعض صحابته بعد ذلك في كتابة الحديث فإن ما يتصل بالقرآن ظل يعتمد على الرواية بالتلقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي خلافة أبي بكر وعمر رضي عنهما.

جاءت خلافة عثمان[1] رضي الله عنه، واقتضت الدواعي ــ التي سنذكرها فيما بعد[2] ــ إلى جمع المسلمين على مصحف واحد، فتم ذلك وسمى بالمصحف الإمام، وأرسلت نسخ منه إلى الأمصار، وسميت كتابته بالرسم العثماني، نسبة إليه، ويعتبر هذا بداية "لعلم رسم القرآن".

ثم كانت خلافة علي رضي الله عنه، فوضع أبو الأسود الدؤلي بأمر منه قواعد النحو، صيانة لسلامة النطق، وضبطا للقرآن الكريم، ويعتبر هذا كذلك بداية "لعلم إعراب القرآن".

استمر الصحابة يتناقلون معاني القرآن وتفسير آياته على تفاوت فيما بينهم، لتفاوت قدرتهم على الفهم، وتفاوت ملازمتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتناقل عنهم ذلك تلاميذهم من التابعين.

2. أشهر مؤلفات علوم القرآن عند القدماء والمحدثين

ومن أشهر المفسرين من الصحابة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن زبير.

وقد كثرت الرواية في التفسير عن: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب. وما روي عنهم لا يتضمن تفسيرا كاملا للقرآن، وإنما يقتصر على معاني بعض الآيات، بتفسير غامضها، وتوضيح مجملها.

أما التابعون، فاشتهر منهم جماعة، أخذوا عن الصحابة، واجتهدوا في تفسير بعض الآيات.

فاشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، مولى ابن عباس، وطاوس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح.

1لقد جمع القرآن الكريم أول جمع في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه بعد معركة اليمامة كما سيأتي.

2أنظر بحث جمع القرآن في عهد عثمان.

واشتهر من تلاميذ أبي بن كعب بالمدينة: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

واشتهر من تلاميذ عبد الله بن مسعود بالعراق: علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي.

قال ابن تيمية: "وأما التفسير، فأعلم الناس به أهل مكة، لانهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك اهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضا ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب".[1]

والذي روي عن هؤلاء جميعا يتناول: علم التفسير، وعلم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم المكي والمدني، وعلم الناسخ والمنسوخ، ولكن هذا كله ظل معتمدا على الرواية بالتلقين.

جاء عصر التدوين في القرن الثاني، وبدأ تدوين الحديث بأبوابه المتنوعة، وشمل ذلك ما يتعلق بالتفسير، وجمع بعض العلماء ما روي من تفسير للقرآن الكريم عن رول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة، أو عن التابعين.

واشتهر منهم: يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة 117 هجرية، وشعبة ابن الحجاج المتوفى سنة 160 هجرية، وكبع بن الجراح المتوفى سنة 197 هجرية، وسفيان بن عيينة المتوفى سنة 198 هجرية، وعبد الرزاق بن همام المتوفى سنة 211 هجرية.

وهؤلاء جميعا كانوا من أئمة الحديث، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبوابه، ولم يصلنا من تفاسيرهم شيء مكتوب.

ثم نهج نهجهم بعد ذلك جماعة من العلماء وضعوا تفسيرا متكاملا للقرآن وفق ترتيب آياته، واشتهر منهم ابن تجرير الطبري المتوفى سنة 310 هجرية.

1مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير صفحة 15.

وهكذا بدأ التفسير أولا بالنقل عن طريق التلقي والرواية، ثم كان تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم دون على استقلال وانفراد، وتتابع التفسير بالمأثور، ثم التفسير بالرأي.

وبإزاء علم التفسير كان التأليف الموضوعي في موضوعات تتصل بالقرآن ولا يستغني المفسر منها.

فألف علي بن المديني شيخ البخاري المتوفى سنة 234 هجرية في أسباب النزول.

وألف أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة 224 هجرية في الناسخ والمنسوخ، وفي القراءات.

وألف ابن قتيبة المتوفى 267 هجرية في مشكل القرآن.

وهؤلاء من علماء القرن الثالث الهجري.

وألف محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى سنة 309 هجرية الحاوي في علوم القرآن.

وألف أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة 328 هجرية في علوم القرآن.

وألف أبو بكر السجستاني المتوفى سنة 330 هجرية في غريب القرآن.

وألف محمد بن علي الأدفوي المتوفى سنة 388 هجرية "الاستغناء في علوم القرآن".

وهؤلاء من علماء القرن الرابع الهجري.

ثم تتابع التأليف بعد ذلك.

فألف أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة 403 هـ في إعجاز القرآن وعلي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المتوفى سنة 430 هجرية في إعراب القرآن.

والماوردي المتوفى سنة 450 هـ في أمثال القرآن.

والعز بن عبد السلام المتوفى سنة 660 هجرية في مجاز القرآن.

وعلم الدين السخاوي المتوفى سنة 643 هجرية في علم القراءات.

وابن القيم المتوفى 751 هجرية في "أقسام القرآن".

وهذه المؤلفات يتناول كل مؤلف منها نوعا من علوم القرآن وبحثا من مباحثه المتصلة به.

أما جمع هذه المباحث وتلك الأنواع _ كلها أو جلها _ في مؤلف واحد فقد ذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن"[1] أنه ظفر في دار الكتب المصرية بكتاب مخطوط لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي، اسمه "البرهان في علوم القرآن" يقع في ثلاثين مجلدا، يوجد منها خمسة عشر مجلدا غير مرتبة ولا متعاقبة، حيث يتناول المؤلف الآية من آيات القرآن الكريم بترتيب المصحف فيتكلم عما تشتمل عليه من علوم القرآن، مفردا كل نوع بعنوان، فيجعل العنوان العام في الآية (القول في قوله عزوجل) ويذكر الآية، ثم يضع تحت هذا العنوان العام في الآية (القول في قوله عزوجل) ويذكر الآية، ثم يضع تحت هذا العنوان (القول في الإعراب) ويتحدث عن الآية من الناحية النحوية واللغوية، ثم (القول في المعنى والتفسير) ويشرح الآية بالمأثور والمعقول، ثم (القول في الوقف والتمام) ويبين ما يجوز من الوقف وما لا يجوز، وقد يفرد القراءات بعنوان مستقل فيقول: (القول في القراءة) وقد يتكلم عن الأحكام التي تؤخذ من الآية عند عرضها.

والحوفي بهذا النهج يعتبر أو من دون علوم القرآن، وإن كان تدوينه على النمط الخاص الآنف الذكر، وهو المتوفى سنة 330 هـ.

ثم تبعه ابن الجوزي المتوفى سنة 597 هجرية في كتابه "فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن".[2]

ثم تجاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة 794 هجرية وألف كتابا وافيا سماه "البرهان في علوم القرآن".[3]

ثم أضاف إليه بعض الزيادات جلال الدين البلقيني المتوفى سنة 824 هجرية في كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم".

ثم ألف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هجرية كتابه المشهور "الإتقان في علم القرآن".

ولم يكن نصيب علوم القرآن التأليف في عصر النهضة الحديثة أقل من العلوم الأخرى. فقد اتجه المتصلون بحركة الفكر الإسلامي اتجاها سديدا في معالجة الموضوعات القرآنية بأسلوب العصر، مثل كتاب "إعجاز القرآن" لمصطفى صادق الرافعي، وكتابي: "التصوير الفني في القرآن" و"مشاهد القيامة في

1أنظر صفحة 27 وما بعدها ج1، ط الحلبي.

2توجد منه نسخة مخطوطة غير كاملة في المكتبة التيمورية.

3نشره وحققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في أربعة أجزاءي.

القرآن "للشهيد سيد قطب". و"ترجمة القرآن للشيخ محمد مصطفى المراغي"، بحث فيها لمحب الدين الخطيب، و"مسألة ترجمة القرآن" لمصطفى صبري و"النبأ العظيم" للدكتور محمد عبد الله دراز، ومقدمة تفسير "محاسن التأويل" لمحمد جمال لدين القاسمي.

وألف الشيخ طاهر الجزائري كتابا سماه "التبيان في علوم القرآن".

وألف الشيخ محمد علي سلامة كتابه "منهج الفرقان في علوم القرآن" تناول فيه المباحث المقررة بكلية أصول الدين بمصر تخصص الدعوة والإرشاد.

وتلاه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني فألف كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن".

ثم الشيخ أحمد علي في "مذكرة علوم القرآن" التي ألقاها على طلابه بالكلية، قسم إجازة الدعوة والإرشاد.

وصدر أخيرا "مباحث في علوم القرآن" للدكتور صبحي الصالح.

وللأستاذ أحمد محمد جمال أبحاث على مائدة القرآن.

هذه المباحث جميعها هي التي تعرف بعلوم القرآن، حتى صارت علما في العلم المعروف بهذا الإسم.

والعلوم: جمع علم، والعلم: الفهم والإدراك. ثم نقل بمعنى المسائل المختلفة المضبوطة ضبطا بهذا الاسم.

والمراد بعلوم القرآن: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.

وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير، لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن.[1]

أسئلة للفهم

1- عرف القرآن

2- ما هي مراحل نشأة القرآن

3- أذكر أهم المؤلفات في علوم القرآن من القدامى والمحدثين.

1 اكتفينا بهذا العرض التاريخي مع التعريف الإجمالي عن البعث في لفظ "علوم القرآن باعتباره مركبا إضافيا، وباعتباره علما على هذا الفن.

الدرس الثاني:
القرآن تعريفه
وأسماؤه وأوصافه

1. تعريف القرآن لغة واصطلاحا.
2. أسماء القرآن وأوصافه.
3. الفرق بين القرآن والحديث القدسي.

1- تعريف القرآن لغة واصطلاحا:

القرآن لغة:

1. المقروء المكتوب:

القرآن في الأصل: يقال قرأ الرسالة قراءة وقرآنا: أي نطق بالمكتوب فيها.[1] ومنه قوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (القيامة: 18).

أي قراءته، ويكون الأقرأ: الأفصح قراءة. كما قد يكون بمعنى إلقاء النظر على الرسالة ومطالعتها صمتا.

2. الجمع:

إنما سمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها.[2] ومعنى لفظ (القرآن) فهو مرادف لمعنى القراءة، ذلك أن "قرأ "تأتي بمعنى "جمع".

والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع. ولا يقال: قرأت القوم إذا جمعتهم.[3] وفي النهاية أن الأصل في لفظة القرآن هو "الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي قرآنا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور، بعضها إلى بعض".[4]

وقال قطرب: "إنما سمي القرآن قرآنا لأن القاريء يظهره ويبينه ويلقيه من فيه".[5]

3. اسم لكتاب الله:

خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام. فصار له كالعلم الشخصي، والقرآن في الأصل مصدر نحو: كفران ورجحان، وسمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.[6]

---

1 اللسان: قرأ، مفردات في غير القرآن. الراغب، ص: 414.

2 تفسير غريب القرآن. ابن قتيبة، ص: 33. تحقيق السيد أحمد صقر.

3 مفردات في غريب القرآن، ص 414.

4 النهاية لابن الأثير، "قرأ".

5 شرح القصائد السبع، ص: 280.

6 الإتقان للسيوطي، 68/1.

وقال بعض العلماء:[1] تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله، لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم. كما أشار تعال إليه: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ (النحل: 89).

وقوله: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (الأنعام: 38).

ولعل ما ذهب إليه ابن الأثير وغيره من اللغويين من ان الأصل في القرآن: الجمع هو أقرب المعاني إنسجاما ومناسبة مع القواعد الكلية. والأسس الرئيسية للشريعة الإسلامية الغراء.

وأما جعل الله تعالى القرآن قانونا أساسيا وكليا باعتباره دستور الدين الكامل، والنعمة التامة "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة: 3).

فلا يوحي الله تعالى بعد القرآن كتابا، فكان مقتضى لطفه سبحانه، أن يكون كليا إجماليا ليس من تطورات الحياة بحكم أحداثها ووقائعها، ويشمل مناحيها ويستجيب لحاجاتها ومتطلباتها في كل الميادين رغم اختلاف الظروف والبيئة.

محافظا على مقاصد الشرع الحنيف،[2] " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" (النحل: 89) .

القرآن اصطلاحا:

القرآن الكريم، أسمى وأشهر من أن يعرف، ولكن جرت سنة المعنيين به ان يعروفه تعريفا جامعا، ومع ذلك جاءت تعاريفهم شتى صياغة، متقاربة معنى، وقالوا:[3]

1) "القرآن هو الكلام القائم بذات الله تعالى، وما نقل بين دفتي المصحف، نقلا متواترا".[4]

1 مفردات في غريب القرآن: 414.

2 موجز علوم القرآن.د. داود العطاؤ، ص: 15-16.

3 المصدر نفسه، ص: 16.

4 المستصفى، الغزالي: 165/1.

2) إن القرآن: الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقا وغربا فما بين ذلك، من أول أم القرآن إلى أخر المعوذتين، كلام الله عزوجل ووحيه، أنزله على قلب نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام، ومن كفر بحرف منه فهو كافر.[1]

3) القرآن هو الكتاب المنزل على رسول الله الصلاة والسلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا متواترا بلا شبهة.[2]

4) هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل –عليه السلام– المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة، المختم بسورة الناس.[3]

ويمكن القول أن القرآن الكريم هو:

وحي الله المنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام لفظا ومعنى وأسلوبا، المكتوب في المصاحف، المنقول نه بالتواتر.

ومن خواص هذا التعريف أنه:

1) وحي الله:

الوحي يشمل كل ما اوحى به الله تعالى إلى رسله وأنبيائه.

2) المنزل على النبي محمد عليه الصلاة والسلام:

قيد خرج به جميع الرسالات والأديان السابقة، كالتوراة والإنجيل والزبور، لأنها نزلت على سائر الأنبياء.

3) لفظا ومعنى أسلوبا:

قيد خرج به ما ثبت من الحديث القدسي، وهو ما نزل على النبي عليه الصلاة والسلام ولم يثبت نظمه في القرآن الكريم، كما خرج بهذا القيد: التفسير وترجمة القرآن إلى سائر اللغات لاختلاف الألفاظ والأسلوب، وان اتفقت المعاني.

---

1 معجم فقه ابن حزم، 833/2.

2 موجز علوم القرآن، ص: 16.

3 التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، ص: 11.

4) المكتوب في المصاحف:

قيد خرج به ما أوحي الله تعالى به إلى النبي عليه الصلاة والسلام من الأحكام، وأداها بأسلوبه الخاص، قولا، مثل: "صلاة الفجر ركعتان"، و"صلوا كما رأيتموني أصلي" و"خذوا عني مناسككم".[1]

5) المنقول بالتواتر:

أي أن القرآن نقله قوم لا يتوهم إجتماعهم وتواطؤهم على الكذب لكثرتهم، وتباين أماكنكم، عن قوم مثلهم، وهكذا، إلى أن يصل النقل إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وبهذا القيد خرج المنقول بالشهرة، والقراءات الشاذة، مثل ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قوله تعالى في كفارة اليمين: .. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .. (المائدة: 89) .

بزيادة "متتابعات" فهذه القراءة محمولة على أنها تفسير للأيام الثلاثة بكونه متتابعات.[2]

2- أسماء القرآن وأوصافه:

دلالة الأسماء والمصطلحات التي يستعملها الباحثون، لها مداليل وفاهيم يجب البحث عنها ضمن الفكر الذي يستند إليه الباحث، ويفسر بموجبه الظواهر والأحداث ليخلص إلى النتائج المطلوبة.

وليس من الصواب قبول اصطلاح ما، بغض النظر عن القيم الفكرية التي يستند عليها، فلفظ "الحرية" مثلا، او "العدالة" او "الحق" أو غيرها يختلف مفهومه في الفكر الإسلامي، عما هو عليه في الأفكار المغايرة.

ومما يؤيدنا ذهبنا إليه قول أحد كبار العلماء المعاصرين من ان الإسلام، "لم يتبين العدالة الاجتماعية بمفهومها التجريدي العام، ولم يناد بها، بشكل مفتوح لكل تفسير، ولا اوكله إلى المجتمعات الإنسانية التي تختلف في نظرتها إلى العدالة الإجتماعية، بإختلاف أفكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة".[3]

---

1 صحيح البخاري: عليم/41، آذان 18، النسائي مناسك: 220، الدارمي صلاة: 42، مسند أحمد: 318/3، وامظر قصة الحديث النبوي، محمود أبو رية ص: 5-6.

2 المستصفى، الغزالي 56/1، نقلا عن موجز علوم القرآن، ص: 18.

3 اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، ص: 303، ط 16.

وعلى هذا الأساس فليس من الصواب: ترحيل المصطلحات من فكر إلى فكر، يختلف عنه في قاعدته القاعدية، وفلسفته التشريعية، فمن الجهل أن نبحث مفهوم "التقوى" مثلا في الفكر الرأسمالي، او فكرة "سوق المنافسة الحرة" في الفكر الإشتراكي، او "الديمقراطية" في الفكر الإسلامي.

والغيرب ان بعضهم "يصطلح على الإسلام" اصطلاحات فكرية غربية عن أسسه الفكرية. ولعل الهدف منها:

أ. إما ترويج الإسلام – إذا افترضنا حسن النية – وهذه طريقة باطلة، لأن وصف الإسلام أو تسميته بما هو غريب عنه، طمس لمعالمه الفكرية، وتشويه لحقائقه وأبعاده التشريعية، إذ الإسلام بحقيقته المجردة، ودون ما وصف إضافي قادر على كسب أفئدة الشعوب وتنظيم مجتمع الإنسانية إذا ما تجلت تشريعاته، واتضحت مفاهيمه الكاملة الشاملة، دون ما تعصب أو هوى، ولا أدل على ذلك من التجربة العملية التي مر بها طيلة الحكم النبوي الشريف.

ب. وإما مطاردة الفكر الإسلام – إذا افترضنا سوء النية – بإشاعة الأفكار والمصطلحات الأجنبية، وصبغها بصبغة إسلامية، لإغفال الأمة عن فكرها الأصيل، وجرها الى ما لا تمت إليه بضلة، بأسلوب خبيث جذاب، من غير ضجة، ولا إثارة إنتباه فتندفع الأمة إلى الإيمان به، باعتبار أن هذا الإصطلاح الأجنبي رائج أولا، وأنه لا ينافي جوهر الإسلام ثانيا.[1]

على أن الإعتبار في استعمال المصطلحات إنما هو بالأغراض التي وقع المصطلح لأجلها، وإذا علمنا ذلك اتضح لنا السر في اختيار الله تعالى لكتابه الكريم إسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم جملة وتفصيلا.

فلو سمي القرآن "ديوانا"، والسورة "قصيدة"، "بيتا"، ونهايات الآيات "قوافي" لتحقيق إقرار التعبير الجاهلي، ولسار القرآن الكريم في خط الإستعمالات والأعراف الشائعة قبله، ولكنه بالرغم من نزوله قرآنا عربيا، وبلسان عربي مبين، نجده ينهج في مصطلحاته نهجا يتفق مع ما جاء به من فكر وقيم ومفاهيم وأعراف، وينطق تسمياته، حسب أغراض يريدها، تتجاوب مع تصوراته، وتتفق مع مداليله وقيمه الخاصة.

1 موجر علوم القرآن، ص: 40.

وعليه فلا يجوز "استعمال القافية في كلام الله تعالى، لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر، وجب سلب القافية أيضا عنه لأنها منه، وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية أيضا عنه لأنها منه، وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن، لا تطلق الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه".[1]

ولعل السبب أو الباعث على هذا التغيير هو:

1. ابتناء التسميات والمصطلحات الجاهلية على الفكر والمفاهيم الجاهلية وقصورها، وبالتالي عن احتمال المعاني الإسلامية الجديدة.

2. إرادة طبع الثقافة الإسلامية – ومن ثم – الامة الإسلامية التي تبشر بها، بطابع خاص متميز، عن طريق هذه المصطلحات، والتسميات الجديدة. قال تعالى "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا**" (البقرة: 104) .

وما تحويل القبلة. وتعيين آيات خاصة للمسلمين. وتسمية الرسول عليه الصلاة والسلام من لم يتبع الإسلام "جاهلي" إلا مؤيدات لما ذهبنا إليه. من الحرص على إيجاد أمة مستقلة عن سائر الأمم. الغارقة في الخرافات والجهالة، مستقلة عنها: في الفكر والسلوك والعواطف والمشاعر. وهكذا كانت أمتنا كما أرادها الله وصنعها رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام: خير امة أخرجت للناس .

أسماؤه وأوصافه:

لقد اختار الله لوحيه أسماء جديدة مخالفة لما سمى العرب به كلامهم جملة وتفصيلا.[2] ولذا فقد تناول العلماء أسماء القرآن بالبحث، فقال القاضي أبو المعالي عزيزي[3] بن عبد الملك لمعروف بشيذلة –بضم عين عزيزي – في كتاب "البرهان".

---

1 البرهان، الزكرشي 59/1.

2 الحيوان، للجاحظ: 348/1، والإتقان، للسيوطي: 86/1.

3 هو أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك الفقيه، الشافعي المعروف بشيذلة. وصاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن. (ت 494 هـ).

"أعلم أن الله تعالى سمى القرآن نجمة بخمسة وخمسين إسما".[1]

وهذا وهم منه، إذ أنه خلط بين الأسماء والأوصاف، وأكثر ما ذكر من الأسماء للقرآن أن هي إلا أوصاف مناسبة لكتاب الله العزيز.

والمناسبة في اللغة: المقاربة، ولا خلاف يناسب فلانا أي يقرب منه، ومنه النسبي الذي هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس – : الوصف المقارب للحكم، لانه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول".[2] عنتد من يقول بالقياس.

ولكل اسم من أسماء القرآن أو وصف مكن أوصافه، مناسبة مضمونة: فوصفه بـ "الحكيم" فلأن آياته احكمت بذكر الحلال والحرام، فأحكمت عن الإتيان بمثلها.

إذ الحكيم صفة تناسب مضمون القرآن. وكذا وصفه بـ "النور" لأن الرؤية لا تتم مع وجود البصر –إلا بالنور– والعقل مع قدرته على الإدراك فإنه لا يدرك كثيرا من الحقائق ولا يهتدي بها إلا بالقرآن، وتوجيهاته النيرة. قال الله تعالى: ... **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** ... (المائدة: 15–16) .

وفيما يلي ذكر بعض أسماء وأوصاف القرآن الكريم:

1. القرآن:

قال تعالى: "**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**" (الحشر: 21).

وقد اختلفوا فيه، فقيل هو اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله، وقيل: مشتق من القرى، وهو الجمع، ومنه قريت الماء في الحوض، أي جمعته.[3] فإن قلنا ان القرآن مصدر، او وصف مشتق

1 البرهان، للزركشي 273/1. والإتقان: 67/1.

2 البرهان، للزركشي 35/1.

3 الصحاح 2491/6 "قرى".

معناه "الجمع" من قولهم: قرأت الشيء أي جمعته، بدلالة قوله تعالى: "**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**" (القيامة: 18) .

ومناسبته أن القرآن الكريم جمع أحكام الأمم الغابرة وأخبارها، وجمع بين رقة الشعر وجزالة النثر البليغ، وجمع بين أصول، العقيدة ومباديء الأخلاق والأحكام العلمية، وجمع للمتمسك به خير الدنيا والآخر، وجمع بين متطلبات الإنسان الجسدية والروحية، وهكذا.

وإلى هذا المعنى ذهب جماعة كبيرة من اللغويين،[1] وأنه الأصل في اللغة العربية. وقال بعض المتأخرين:[2] "لا يكون القرآن –وقرأ- مادته بمعنى جمع، لقوله تعالى: "**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**" (القيامة: 17) . فغاير بينهما، وإنما مادته قرأ بمعنى أظهر وبين، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه، اما إذا قلنا أن القرآن: لم يؤخذ من قراءة، إذ "لا يقال لكل جمع قرآن، ولا لجمع كل كلام قرآن، فيكون إسما قد خص بالكتاب المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، فصار له كالعلم كالتوراة والإنجيل".[3]

2. الكتاب:

لما كان الكتاب بحسب ما يتبادر منه اليوم: "هو الصحيفة أو الصحائف التي تضبط فيها طائفة من المعاني على التخطيط بقلم او طابع أو غيرهما[4]" كما أن الكتابة ليست إلا جمعا للحروف، ورسما للألفاظ، فتسمية كلام الله تعالى بـ "الكتاب" إشارة إلى جمعه في السطور.

وقد جرى كلامه تعالى بالكتاب على أقسام ثلاثة:[5]

القسم الأول: الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وهي المشتملة على شرائع الدين، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى منها كتاب نوح عليه السلام في قوله: ".. **وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**" (البقرة: 213). وكتاب إبراهيم وموسى عليهما السلام قال: "..**صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**.. " (الأعلى: 19) .

---

1 اللسان "قرأ".

2 البرهان، للزركشي: 277/1.

3 الإتقان 67/1-68.3

4 الميزان في تفسير القرآن، محمد حسسين الطباطبائي 253/7.

5 أنظر هذه الأقسام في كتاب الميزان في تفسير القرآن 253/7.

وكتاب محمد عليه الصلاة والسلام، قال: ".. **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**..(" البقرة: 2) . وكتاب يحي عليه السلام، قال: " **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**". (مريم: 12) .

القسم الثاني: الكتب التي تضبط أعمال العباد من حسنات أو سيئات، فمنها: ما يختص بكل نفس إنسانية، كالذي يشير إليه قوله تعالى: "**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**" (الإسراء: 13-14) . وقوله: " **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ**" (آل عمران: 30).

ومنها: ما يضبط أعمال الأمة كالذي يدل عليه قوله: "**تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**" (الجاثية: 28) .

القسم الثالث: الكتب التي تضبط تفاصيل نظام الوجود والحوادث الكائنة فيه، فمنها: الكتاب المصون عن التغيير، المكتوب فيه كل شيء، كالذي يشير إليه قوله تعالى: "**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**" (الرعد: 39) .

3. الفرقان:

"**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**" (الفرقان: 1).

وأما الفرقان فلأنه يفرق بين الحق والباطل، سواء كان ذلك في الإعتقاد للتفرقة بين الإيمان والكفر، وكل هدى وظلال، أو في العمل بالتمييز بين الطاعة والمعصية، وكل ما يرضي الله او يسخطه.

4. الكلام:

وهو مشتق من الكلم بمنعى التأثير: فسمي الكلام كلاما "لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده" [1]. قال تعالى: "**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**". (التوبة: 6).

1 البرهان، 279/1.

5. ذكر:

وأما تسميته "ذكر" فلأنه ذكر للمؤمنين ولما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية، والذكر أيضا: الشرف. قال تعالى: "**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**" (الزخرف: 44). أي شرف لأنه بلغتهم.

6. الهدى:

وأما "الهدى" فلأن فيه دلالة بينة إلى الحق، وتفريقا بينه وبين الباطل، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة.[1] كما في قوله تعالى: "**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**" (البقرة: 105).

ولقد وردت أوصاف أخرى للقرآن الكريم، منها: "النور" فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام، كما في قوله تعالى: "**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**" (المائدة: 15).

"والشفاء" فلأنه يشفي من الأمراض القلبية كالكفر والجهل والغل، والبدنية، والحسد، ونظير قوله تعالى: "... **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**" (الأعراف: 31).

و"البلاغ" لأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه، أو لأن فيه بلاغة وكفاية عن غيره، وأما تسميته "بشيرا ونذيرا" فلأنه بشر بالجنة وأنذر من النار، ومنها "الحكيم" فلأنه أحكمن آياته بعجيب النظم وبديع المعاني، وأحكمت عن طرق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين، وأما الصراط المستقيم، فلأنه طريق إلى الجنة، قويم ولا عواج فيه، وأما "الحبل" فلأنه من تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى، والحبل والسبب، وأما تسميته "رحمة" فإن فهمه وعقله كان رحمة له، ومنها "البلاغ" المصدق، الوحي، البصائر، التنزيل، المثاني العزيز، التبيان، القصص ... إلخ.

3- الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي أهمها:

1 الاتقان، 68/1.

1. أن القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بحفظه، وتحدى به العرب، فعجزوا عن ان يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، او بسورة من مثله.

2. ولا يزال التحدي به قائما، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين.

والحديث القدسي لم يقع به التحدي والإعجاز.

ثانيا: والقرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى. والحديث القدسي – قد يروى مضافا إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء، فيقال الله تعالى، او يقول الله تعالى، وقد يروى مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار لأنه عليه الصلاة والسلام هو المخبر به عن الله، فيقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يرويه عن ربه عزوجل.

3. والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر فهو قطعي الثبوت، والاحاديث القدسية أكثرها اخبار آحاد، فهي ظنية الثبوت. وقد يكون الحديث القدسي صحيحا، وقد يكون حسنا، وقد يكون ضعيفا.

4. والقرآن الكريم من عند الله لفظا ومعنى، فهو وحي باللفظ والمعنى. والحديث القدسي: معناه من عند لله ولفظ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحيح، فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

5. والقرآن الكريم متعبد بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة "**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**" (المزمل: 20).

وقراءته عبادة يثيب الله عليها بما جاء في الحديث "من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

والحديث القدسي لا يجزيء في الصلاة ويثيب الله على قراءته ثوابا عاما، فلا يصدق فيه الثواب الذي ورد ذكره في الحديث على قراءة القرآن بكل حرف عشر حسنات".[1]

1 مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: 129/2. ورواه الترمذي، وقال حسن صحيح.

أسئلة للفهم

1- عرف القرآن تعريفا واصطلاحيا

2- أذكر أسماء القرآن من القرآن

3- أذكر أوصاف القرآن في القرآن

4- بين الفروق الأساسية من القرآن والحديث القدسي

5- عرف الحديث القدسي وأذكر أمثلة عنه

الدرس الثالث:

نزول القرآن وظاهرة الوحي

1. نزول القرآن وتنزيله
2. كيفية الوحي.
3. أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن.
4. التدرج في نزول القرآن.

1- نزول القرآن وتنزيله:

في كيفية الإنزال والوحي:

قال تعالى " **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** " (البقرة: 185).

وقال سبحانه: " **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** " (القدر: 1).

وقال تعالى: " **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** " (الإسراء: 106).

بعض آيات القرآن الكريم قررت نزول القرآن جملة في شهر رمضان، وبعضها قرر تنزيله منجما خلال ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة. فكيف يمكن التوفيق بين ما يبدو من تعارض؟ لا بد نت التفريق بين معنى الإنزال والتنزيل. والأصل في النزول: الورود على المحل من علو، والعلو كما يكون مكانيا، فيقال: علا الطائر إذا ارتفع عن مستوى الأرض، فقد يكون شأنيا، فيقال: علا مستوى الطلبة – مثلا حين تزداد معارفهم، ويرتفع مستوى معلوماتهم، فللإشارة إلى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن الكريم من جهة عليا هي الله تعالى، جاء التعبير عن وحيه بالنزول.

واختلف في هذا الإنزال كلا أو جملة أو نجوما، دفعة أو دفعات إلى السماء الدنيا تارة، وعلى قلب النبي تارة أخرى.[1]

1. إن الله أنزال جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أنزل على النبي بعد ذلك نجوما.
2. إنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما أوقات مختلفة، وبه قال الشعبي.[2]

على أن هناك فرقا بين "الإنزال" و"التنزيل"، إذ أن الإنزال دفعي، والتنزيل فلا يبقى تعارض، ويكون معنى قوله تعالى: "**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**"، وقوله تعالى: " **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** "،

1البرهان: 230/1.

2الإتقان 54/1.

في رأي عدد من العلماء،[1] هو النزول الدفعي للقرآن الكريم، أو الإجمالي، بمعنى أنه "نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعدها منجما وعلى مكث مجموع مدة الدعوة". قال الزركشي: "هذا القول أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون".[2]

ويبدو أن الهدف من إنزال القرآن دفعة واحدة للمرة الأولى، هو تنوير النبي عليه الصلاة والسلام بالمعارف الإلاهية الكبرى، وأسرار الكون العظيمة، ليمتلئ قلبه عليه الصلاة والسلام بالعلوم القرآنية، والحقائق الكونية الجليلة. قال الزنجاني: "على انه يمكن أن نقول بأن روح القرآن وهي أغراضه الكلية التي يرمي إليها تجلت لقلبه الشريف في تلك الليلة". " **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** " (الشعراء: 193-194).

فيكون معنى قوله تعالى: " **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا** " (الإنسان: 23)، وقوله سبحانه: " **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** ". (الإسراء: 106).

ونظائرها من الآيات يفيد "التنزيل" لا الإنزال، وهو تنزيل القرآن منجما، وبصورة تدريجية. قال ابن عباس: "إنه انزل في رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة، جملة احدة ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام".[3]

وعنه أيضا انه قال: "الذي أنزل فيه القرآن جبريل بالقرآن جملة إلى سماء الدنيا .. ثم نزل بعد ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم يوما بيوم، آية وآيتين وثلاثا وسورة..".[4]

ولعل تنزيل القرآن تم لعلة منها:

1هناك عدة أقوال في مدة نزول القرآن، فقيل: عشرون، أو ثلاث وعشرون، أو خمس وعشرون سنة، وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة، فقيل: عشر سنوات، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة سنة، ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر.

انظر البرهان 232/1، والإتقان 53/1-54.

2البرهان: 228/1.

3كتاب الأسماء والصفات، البيهقي، ص : 236.

4تنوير المقياس، مطبوع مع الدر المنشور للسيوطي: 86/1.

تربية الامة وترويضها وهدايتها وتمكينها من التطبيق والإلتزام بالأحكام الإسلامية، وهذا يتمثل بعملية صياغة النفوس في إطار جديد، فهي على عهد من الجاهلية بأعرافها ومفاهيمها وأخطائها، والنقلة الفورية ليست خطوة عملية في التغيير الإجتماعي الذي أرادته رسالة القرآن.

ويتبين ان القرآن الكريم أنزل دفعة إجمالية على الرسول عليه الصلاة والسلام، أو إلى سماء الدنيا، ثم تدرج نزوله طيلة حياته بعد البعثة.

ومن هذا البيان نفهم قوله تعالى: " **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** " (هود: 1). فإنها تشير إلى القرآن حاله كونه محكما، وقد أنزله الله تعالى على الرسول عليه الصلاة والسلام جملة واحدة، ثم فصلت تفصيلا حين تنزل عليه آيات متفرقات خلال الدعوة النبوية. ومنه يظن ان الرسول عليه الصلاة والسلام حين تنزل عليه الآيات والسور، كان على علم سابق بمحكم القرآن لنزوله عليه جملة، ودفعة واحدة، وهذا المعنى هو ما يلوح من قوله تعالى: " **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ** " (طه: 114). وقوله تعالى: " **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** " (القيامة: 16-17).

فإن الآيات ظاهرة في أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان له علم بما سيزل عليه، فنهي عن الإستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي.[1]

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه في بيان تنزلات القرآن، ما ورد عن ابن عباس: أنه سأل عطية بن الأسود، فقال: أوقع في قلبي الشك: قوله تعالى: " **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** "، وقوله: " **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** "، وهذا انزل في شوال وفي ذي القعدة وذي الحجة، وفي محرم وصفر وشهر ربيع؟ فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام.[2]

---

1 الميزان: 18/2.

2 الإتقان: 54.

2- كيفية الوحي:

نزل القرآن الكريم على الرسول الامين عليه الصلاة والسلام كما نزلت الرسالات السابقة على الأنبياء وحيا.

والوحي لغة: الإعلام الخفي السريع.

واصطلاحا: الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لإعلامهم ألوان الهداية والعلم، وإنما جاء تعبير الوحي الإلهي إنما تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين "الذات المتكلمة الآمرة الحازمة، والذات المخاطبة المضطربة المجفلة"،[1] ولذا عبر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحي، قال سبحانه: " **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ** ... " (النساء: 163).

فظاهرة الوحي الإلهي –إذن– ظاهرة مرئية ومسموعة ولكنها خاصة بالنبي وحده.

ولقد وردت كلمة الوحي في القرآن وأريد بها معان كثيرة، والذي بصدده هو ورودها بمعنى طريقة اتصال الله تعالى بمن اصطفى من الناس.

فلهذا المعنى للوحي ثلاث صور:

1. القاء المعنى في قلب النبي عليه الصلاة والسلام أو ينفث في روعه الكلام نفشا، كما قال عليه الصلاة والسلام: "إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وإجملوا في الطلب".[2]

2. تكليم الله النبي من وراء حجاب، كما نادى الله موسى من وراء الشجرة، فسمع نداءه، في قوله تعالى " ... **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** " (النساء: 164).

---

1 أي بين ذات متكلمة آمرة معطية، وذات مخاطبة مأمورة متلقية، وان هذا الاجفال كما يقول مالك بن نبي: يعكس طبيعيا لدى النبي – الذي يعرف انه لا يعرف القراءة – الشعور والفكرة اللذين يعرفهما عن نفسه، فإجابته السلبية الخاشعة –ولكنها القاطعة– هي النهاية الطبيعية لعملية نفسية تنبثق عن هذه الفكرة التي يدرك موضوعيتها تمام: فكرة أميته.

الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص: 158، ترجمة عبد الصور شاهين.

2 الإتقان: 59/1.

3. أن يلقي ملك الوحي المرسل من قبل الله تعالى إلى احد أنبيائه، ما كلف بإلقائه إليه، وساء أكان هذا الملك على هيئته الملكية، ام على هيئة رجل، كما ورد في صحيح البخاري: "وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول".[1]

ولقد حصرت الآية التالية هذه الصور الثلاث بقوله تعالى: " **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** " (الشورى: 51).

كيفية وحي الملك إلى الرسول:

الحالة الأولى: أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس، فإذا سمع الرسول هذه الصلاصل سكت، وأدرك انه الوحي، والصوت القوي يثير العوامل الإنتباه فتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره، فإذا نزل الوحي بهذه الصورة على الرسول عليه الصلاة والسلام، نزل وهو مستجمع على القوة الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه "وأحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي" فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال".[2]

وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة المشار إليه في الحديث "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان".[3]

وقد يكون صوت الملك نفسه في أول سماع الرسول له.

الحالة الثانية: وهي أن يتمثل له الملك رجلا، ويأتيه في صورة بشر، فيكلمه، ويسأله، ويلقي إليه ما يريد إلقاءه بكلام واضح مفهوم، وهذه الحالة أخف من سابقتها، "وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول".[4]

حيث يتناسب بين المتكلم والسامع ويانس رسول النبوة عند سماعه من الرسول الوحي ويطمئن إليه إطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان.

1صحيح البخاري 3/1، بدأ الوحي.

2صحيح البخاري: 1/ 2-3.

3صحيح البخاري: 3/1.

4المصدر نفسه: 3/1.

والهيئة التي يظهر فيها جبريل بصورة رجل لا يتحتم فيها أن يتجرد من روحانيته، ولا يعني أن ذاته انتقت رجلا، بل المراد أنه يظهر بتلك الصورة البشرية انسا للرسول البشري، والأشد ان الحالة الأولى –حالة الصلصلة– لا يوجد فيها هذا الإناس، وهي تحتاج إلى سمو روحي من رسول الله يتناسب مع روحانية الملك، فكانت أشد الحالتين عليه، لأنها كما يقول ابن خلدون: إنسلاخ من البشرية الجسمانية، واتصال بالملكية الروحانية، والحالة الاخرى عكسها، لأنها انتقال من الروحانية المحضة إلى البشرية الجسمانية".[1]

وكلتا الحالتين مذكور فيها روي عن عائشة رضي الله عنها، ان الحارث بن هشام سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول".[2]

وروت عائشة ما كان يصيب رسول الله عليه الصلاة والسلام من شدة، فقالت: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا".[3]

والحالتان هما القسم الثالث من أقسام التكليم الإلهي المشار إليه في الآية "**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ:**

1- **إِلَّا وَحْيًا**

2- **أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**

3- **أو يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**" (الشورى: 51).

3- أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن:

أول ما نزل:

للعلماء في اول ما نزل من القرآن أقوال:

1مقدمة ابن خلدون.

2صحيح البخاري 32/1.

3صحيح البخاري ½.

أولا: وهو الصحيح: " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** " إلى قوله: " **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** " (العلق: 1 - 5) في مكة.

فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: اول ما بديئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤية الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه – والتعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع إلى اهله –ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو بغار حراء، فجاءه الملك، فقال اقرأ، قال: ما انا بقاريء: قال: فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقاريء، فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده.."[1].

2. وقال الزنجاني: "الصحيح ان اول ما نزل من القرآن قوله تعالى: "**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** .."[2].

3. وأما ما حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره، وأخرجه الواحدي باسناده عن عكرمة، والحسن، والصحاك عن ابن عباس: من اول ما نزل من القرآن: "**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**"[3].

فلا ريب فيه، ولا غبار عليه "فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي اول آية نزلت على الإطلاق"[4].

4. وقيل: أول ما نزل للرسالة: " **يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** " وللنبوة: " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** " فإن العلماء قالوا: قوله تعالى: " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** " دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان النبوة عبارة عن الوحي إلى

1صحيح البخاري، 3/1، وأسباب النزول، للواحدي، ص: 5-6.

2تاريخ القرآن، الزنجاني، ص: 30.

3أسباب النزول، الواحدي، ص: 6.

4الإتقان: 33/1.

الشخص على لسان الملك، بتكليف خاص، وقوله تعالى: " **يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ** " دليل على رسالته صلى الله عليه وسلم، لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام.[1]

آخر ما نزل:

اختلف في آخر ما نزل من القرآن على أقوال:

1. قيل:[2] آخر ما نزل من السور: " **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ** " (النصر: 1).

2. وقيل:[3] آخر ما نزل قوله تعالى: " **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللَّهِ** " (البقرة: 281).

3. وقيل:[4] آخر آية نزلت: " **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ** ... " (النساء: 176).

4. وروي عن سعيد بن المسيب، أن آخر ما نزل: آية الدين، وذلك حيث قال:[5] أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين" والمراد بها: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** " (البقرة: 282).

5. وقيل: آخر ما نزل من الآيات: "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**" (المائدة: 3).

فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها.[6]

6. وقيل:[7] آخر آية نزلت آية تحريم الربا، والمراد بها قوله تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا**". (البقرة: 278).

1أسباب النزول، ص: 7، والبرهان 208/1.

2البرهان: 209/1.

3أسباب النزول، ص: 9.

4أسباب النزول، ص: 8.

5الإتقان: 36/1.

6المصدر نفسه: 37/1.

7صحيح البخاري، ومناهل العرفان للزرقاني: 97/1.

هذا ومن المؤكد ان اختلاف الروايات في آخر ما نزل من آيات القرآن ليس في شيء منها، ما رفع للنبي عليه الصلاة والسلام، بل سببه هو غلبة ظن الرواة واجتهادهم، فكل منهم يروي آخر ما سمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام قبيل مرضه، ثم فارقه،[1] كما يحتمل ان تنزل الآية التي هي آخر أية تلاها رسول الله عليه الصلاة والسلام مع ما بعدها مما سبق أن نزل، لتكتب معا فيظن سامع ذلك ان ما يتلوه الرسول هو آخر ما نزل.[2]

وكانت الآيات تنزل طيلة الحياة النبوية بعد البعثة، لا على تسلسلها الوارد في المصحف المدون، فلربما نزلت آية أو بضعة آيات من سورة، ثم نزلت آيات أخر من سورة اخرى، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام بتعليم من الله تعالى يلحق الآيات بسورها فيقول: "ألحقوا الآية كذا بالسورة كذا.." قال ابن عباس: "كان جبريل –إذا نزل على النبي الوحي –يقول له: ضع هذه الآية في سورة كذا في موضع كذا".[3]

ودل استقراء الأحاديث إن أكثر القرآن نزل مفرقا،[4] وكان يعرضه جبريل في شهر رمضان كل عام مرة، وعام مات مرتين.[5]

4- التدرج في نزول القرآن الكريم:

تم تنزيل القرآن وفق منهج الإسلام في تغيير المجتمع البشري منجما وطبقا لفطرة الإنسان، وأن هذا التوافق بين تنزيل القرآن منجما من جهة، وبين طريقة الاستسلام التدريجية في تغيير المجتمعات من جهة ثانية، وبين سنة الله تعالى في تغيير المجتمعات التدريجي، لهو آية من آيات وحدة مصدر الكون والحياة والإنسان، كما فيه دلالة قطعية على ان مصدر القرآن هو خالق الإنسان، وإلا كيف حدث هذا

1مناهل العرفان، الزرقاني، 100/1.

2البرهان: 210/1، ونص عبارته: "ويحتمل أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رشم ما نزل آخرا وتلاوته، فيظن سامع ذلك انه اخر ما نزل في الترتيب".

3تاريخ اليعقوبي: 36/2.

4تاريخ القرآن، الزنجاني، ص: 32، والبرهان للزركشي: 231/1.

5فضائل القرآن لابن كثير، ص: 3، والبرهان 232/1.

التوافق، وتم نقل المجتمع البشري من حضيض ما آل إليه أمره، إلى المستوى الإنساني اللائق الذي شهده العالم في ظل سيادة الإسلام العظيم.[1] ؟

أثر تدرج نزول القرآن في نشر الدعوة الإسلامية

إن التغييرات الإجتماعية ليست عملية ميكانيكية بالنسبة للفرد والمجتمع، بل هي حركة "ديناميكية" يتغير بموجبها المحتوى الداخلي للإنسان، فتتغير بذلك المظاهر العامة لحياة المجتمع لذلك فإن أهم شرط من شروط نجاح أية فكرة تغييرية، أن تنفذ إلى فطرة الإنسان، وأن تكون متساوية معها، غير متنافرة مع متطلباتها وحاجاتها الضرورية، وإلا فنصيبها الفشل العاجل أو الآجل.

ولقد عشنا وسمعنا كثيرا من الاطروحات التغييرية التي تطرح في الساحة الإنسانية، أملا في ان يؤمن بها الفرد، وتسود الجماعة، ولكن سرعان ما تغدو فقاعة صابون تنجاب بأول هزة، أو أن تبقى نظريات مجردة تحتجنها بطون الكتب.[2]

ومن الجلي ان "الأطروحة" الإسلامية مدهشة للغاية، من حيث مميزاتها الذاتية، وآثارها التطبيقية، فإنها في عمقها التشريعي وشمولها لكل ألوان النشاط الإنساني، الفردي والجمعي، وعلى كل صعيد من جهة، وسرعتها الخارقة التي استطاعت خلالها أن تجسد عقائدها وتشريعاتها، وتمثل قيمها ومثلها، وتحقيق اهدافها وأغراضها من جهة اخرى، قد تميزت بميزات أفردتها عن سواها، وسجلت في هذا المجال نصرا لم تشهد مثيله الإنسانية.

ولم تكن الطريقة الفريدة التي مارستها الرسالة الإسلامية في تغيير المجتمع تشوبها شائبة من شوائب "العفوية" أو الإرتجال أو الإعتباط، وإنما هي: شرائع واحكام عملية، وقوانين فردية واجتماعية تسعد الانسانية، مبنية على الاخلاق الفاضلة ومرسومة من قبل العليم الخبير، ولهذا أثمرت للبشرية أسمى حضارات كوكبنا الأرضي.[3]

1موجز في علوم القرآن، ص: 114.

2موجز في علوم القرآن، ص: 115.

3المصدر نفسه، ص: 115.

ولو تدبرنا طريقة الدعوة الإسلامية لوجدناها اخذت بالتدرج في ثلاث مجالات:[1]

1. التدرج في موضوع الدعوة:

حيث بدأ الإسلام بتغيير عقائد الناس وأفكارهم اولا، ثم راح يضع لهم القوانين والتعاليم، التي تنظم الفرد والمجتمع ثانيا، وذلك لان الإنسان يسهل عليه أن يغير فكرة سبق أن آمن بها، وأن يقتنع بفكرة جديدة قام الدليل على رجحانها، في حين يعبر عليه ويشق أن يغير تعاملا سلوكيا سار عليه واعتاده.

وهذه القضية واضحة من تدبر طبيعة الآيات التي نزلت في مكة، فإنها: عقائد بصورة عامة، أم الآيات التي نزلت بعد الهجرة فإنها: تشريعية عملية بصورة غالبة.

2. التدرج في نشر الدعوة:

إذ شرع الرسول عليه الصلاة والسلام بنشر رسالته الكريمة بدعوته عشيرته الأقربين " **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**" (الشعراء: 214)، ثم اتسعت الدعوة فبلغها للناس من حوله: " **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**" (الحجر: 94)، ثم راح يخاطب الملوك والرؤساء في العالم يعرض عليهم الإسلام باعتباره رسول الله إلى الناس جميعا. ومن الجدير بالذكر والتأكيد: ان طبيعة رسالة الإسلام كانت منذ البداية وبالأصل للناس جميعا، حتى يوم القيامة، ولكن التدرج وقع في مباشرة الرسالة، كطريقة طبيعية ومضمونة النجاح، وليس الأمر كما يدعي بعض المستشرقين من افتراءاتهم، يرمون بها رسول الله عليه الصلاة والسلام، من أنه لم يكن يفكر أول الأمر بالناس وبالدولة، وإنما كان قصده أهله وعشيرته، وحين اتسقت له الأمور وسع رسالته ونشر دعوته وأقام دولته .. فإن هذه الغرية مردودة من أساسها، وواضحة البطلان بنصوص القرآن الكريم.

3. التدرج في الأساليب:

حيث بدأ رسول الله عليه الصلاة والسلام الدعوة: بالقول اللين والإرشاد، والموعظة الحسنة، ثم ثنى بالمواقف السلبية والمقاطعات السلمية، والنهي عن الركون إلى الأعداء أو موالاة الجاهلين واعداء

1موجز في علوم القرآن، ص: 115-116.

الإسلام، ثم أردف ذلك بمقاومة المعتدين، وجهاد من يقف حائلا دون حرية الرسالة الغراء في دعوة الناس إليها. وهذا التدرج ظاهر من آيات التصبر والتسلية التي كانت تنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام لتسليته عما يعاني من اضطهاد قريش. ثم اذن الله تعالى بقتال من يقاتل المسلمين، فمارس رسول الله عليه الصلاة والسلام الدفاع الشرعي لحماية المسلمين من العدوان، وإتاحة المجال لممارسة التبشير بالإسلام.

لقد كان لهذا التدرج في مجالاته الثلاث، أبلغ الأثر في شمول الإسلام للعالم، وفتحه للقلوب قبل الأقطار، ودون اية مقاومة شعبية تذكر في اكثر البلدان التي حررها الإسلام. وان الطريقة التدريجية التي مارس الإسلام بموجبها دوره في الهداية والتنظيم الواسع الشامل، ليجسد حقيقة ناصعة، هي ان الإسلام: التشريع الامثل للإنسان باعتباره "دين الفطرة": " **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**" (الروم: 30).

وأن هذه الطريقة كانت نتيجة حتمية لنزول القرآن منجما، إذ ان من الواضح لو نزل جملة، لوجب تكليف الناس به دفعة واحدة، ولكان الأمر على غير ما حدث. ولكن حكمة البارئ عزوجل ولطفه ورحمته بالناي، كل ذلك يسر على الناس الامر، وضمن للرسالة النجاح والإنتشار السريع.

أسئلة للفهم

حدد مفهوم الوحي وأنواعه

1- كيف كان يأتي الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم

2- أذكر أرجح الآراء في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن

3- أذكر أهم الدروس المستفادة من ظاهرة التدرج في نزول القرآن

الدرس الرابع:
نزول القرآن منجما وحِكمه

1. حِكم نزول القرآن جملة
2. حِكم نزول القرآن منجما
   أ. حِكم تخص القرآن.
   ب. حِكم تخص الرسول.
   ج. حِكم تخص الناس.

1- حِكم نزول القرآن جملة

1. قيل إن السر في إنزاله جملة إلى السماء: هو تفخيم امره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلان سكان السموات السبع، ان هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، ولقد صرفناه إليهم لينزله عليهم. قال السخاوي في جمال القراء: "في نزوله إلى السماء جملة، تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيع سورة الانعام، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام، وإنساخهم إياه وتلاوته له".[1]

2. التسوية بين نبينا عليه الصلاة والسلام وبين موسى عليه السلام، في إنزاله كتابه جملة، والتفضيل لمحمد عليه الصلاة والسلام في إنزاله منجما وجملة.[2]

3. أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم، من الحظ بمبعث محمد عليه الصلاة والسلام.[3]

2- حكم نزول القرآن منجما

على ضوء ما سبق بيانه، نلمس ان التدريج في التنزيل جاء منسجما مع طبائع المجتمع، ومقررا أسلوب الإسلام في العمل الاجتماعي، لا سيما وأن القرآن يمثل المصدر الاول للتشريع الإسلامي.

ولم يكن هذا التدرج إلا لحكم إلهية بالغة، اقتضتها مشيئة الله تعالى، واحاط بها علمه الذي أحاط بكل شيء. ووضع لكل شيء قدرا، ونحن وإن كنا نجهل تلك الحكم بحقائقها، غير انا حين نذكر بعضها، فإنما نذكر ما وقفت عليه عقولنا، وأدركته أفكارنا، ودون ان ندعي أن ما ندركه هو الحقائق الشرعية الثابتة القطعية، بل هي حكم راجحة ظاهرة.

1الإتقان: 55/1.

2المصدر نفسه: 55/1.

3الإتقان: 55/1.

وهذا الأمر نستطلعه من خلال الآية الكريمة التي تولى الله سبحانه وتعالى جوابه على سؤال المشركين. فقال تعالى: " **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ..." (الفرقان: 32).

يعنون كما انزل على من قبله من الرسل، فأجابهم الله بقوله: "**كَذَلِكَ**"، أي أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤادك، أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه.[1]

ومعنى " **لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**"، "لنحفظه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ففرق عليه ليسير عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ نزول جبريل عليه السلام".[2]

ويمكن ان نستخلص حكم نزول القرآن منجما من خلال تصنيفها إلى ثلاثة أصناف:

أ. حكم تخص القرآن.

ب. حكم تخص الرسول.

ج. حكم تخص الناس.

أ- حكم تخص القرآن الكريم

1. التحدي والإعجاز:

إن القرآن الكريم حيث نزل آية أو آيتين، إلى عشر آيات طيلة ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة على نسق واحد، وسمو واحد، دون تعارض أو اختلاف، وهو يمر خلال تنزيله باحوال شتى تعرض لرسول الله عليه الصلاة والسلام من شدة ورخاء وعسر ويسر، دون ان ينعكس ذلك على القرآن، ودون أن يظهر

1البرهان: 231/1. والإتقان: 1/55.

2البرهان: 231/1.

فيه أي لون من ألوان الإنفعال البشري الذي تثيره تلك الأحداث الجسام، فإن ذلك أظهر لعظمة القرآن، وأكد لإعجازه ووحيه، وهو يتحدث الثقلين أن يأتوا بسورة من مثله طيلة هذه الأعوام.[1]

2. بيان الميزة العملية للقرآن:

لم يكن القرآن كتابا نظريا يطرح في المجتمع ليتفاعل معه، وعلى ضوء ما تتمخض عنه التجربة تجرى عليه التعديلات اللازمة، ويمارس فيه النقض والإبرام، إن هذا هو شأن ما يتولد عن العقل البشري، حيث أن العقل محدود فيما يتولد عنه لا بد أن يكون محدودا. اما القرآن الكريم فإنه: " **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**" (هود: 1).

لقد جاء القرآن ليطبق، ويهتدي به الناس، وينظم شؤونهم المعاشية والمعادية، وليقرر الحقوق والواجبات للفرد والجماعة، ويقيم الموازين القسط بين الناس، لذا كان لزاما ان يأتي مطابقا لسنة الله في تغيير المجتمعات وتطورها التدريجي.

وهكذا تم تنزيل القرآن على هذه السنة: أن يأتي الناس شيئا فشيئا حتى كمل تنزيل القرآن، فكان المجتمع قد تغير بكامل جوانبه.

فالجانب العملي في القرآن ليس في المجال الموضوعي، وما جاء به من تشريعات واحكام وقواعد، ونحو ذلك فحسب، بل انه كان عمليا في الطريقة، أو الأسلوب الذي تم تنزيله، ولولا هذا الأسلوب لما امتاز بسمته العملية الذي ميزته وأكسبته قوة فعالة، إلى جانب قوته الموضوعية الأصلية في التأثير.[2]

3. أولوية الوحي:

مما روعي في تنجيم القرآن أولوية ما يكون مائلا من الوقائع، إذ أن بسط الموضوع نظريا ليس له من التأثير / عقائديا واجتماعيا / كما لو نزل الحكم إثر واقعة من الوقائع أو عند احتياج الناس إليه، الامر الذي كان يكسب الاحكام صفة الإلتزام المباشر من قبل الناس، فإذا انزلت آية في أحكام الأسرى وليس لدى المسلمين أسرى، فإن الإلتزام بها سيكون في المستقبل، ولكن حين تنزل إثر وقوع المشركين

1موجز في علوم القرآن: 120.

2موجز في علوم القرآن، ص: 121.

أسرى، والمسلمين لا يعلمون احكامه هل يفدون؟ ام يطلق سراحهم منا؟ فإنه مما لا شك فيه سيكون لنزول القرآن حسب الحاجة، ومع الوقائع من الأثر التطبيقي ما لا يكون له، فيما لو نزل نظريا دون وجود الحاجة.

وإذا كان القرآن قد نزل منجما، ليساير أولوية ما يستجد من الوقائع، فإن نصوصه وأحكامه التشريعية تبقى عامة شاملة لا تختص بما نزلت لمعالجته من الوقائع، بل هي حسب القاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".[1]

4. التدرج في التنزيل:

إن تنزيل القرآن تدريجيا، كان تحاشيا لهزات إجتماعية عنيفة، وردات إنعكاسية حادة كان من المحتمل ان تحدث لولا أن جاء القرآن تبعا للوقائع والأحداث، ووفق ما تستوعبه طبقة المجتمع، ثم "إن المعارف التي تتضمنها الدعوة الإسلامية الناطق بها القرآن، إنما هي شرائع وأحكام عملية، وقوانين فردية واجتماعية تسعد الحياة الانسانية، مبنية على الاخلاق الفاضلة، المرتبطة بالمعارف الكلية الإلهية، التي تنتهي بالتحليل إلى التوحيد، كما ان التوحيد ينتهي بالتركيب إليها ثم إلى الاخلاق والأحكام العملية.[2]

فأحسن التعليم وأكمل التربية ان تلقى هذه المعارف بالتدريج موزعة على الحوادث الواقعة المتضمنة لمساس انواع الحاجات، بمنية لما يرتبط بها من الإعتقاد الحق والخلق الفاضل، والحكم العملي المشروع، مع ما يتعلق بها من أسباب الإعتبار، والإتعاظ بين قصص الماضين، وعاقبة أمر المسرفين، وعتو الطاغين والمستكبرين".

فالرسالة الإسلامية بعامة، والقرآن بخاصة مد الناس رويدا رويدا، بما يوافق تطويرهم من التشريعات، ولأن ما جاء به القرآن الكريم يشمل النواحي الحياتية جميعها، فلم يكن من الحكمة أن يوضع بين يدي الناس تشريع يتناول عقائدهم وتعاملهم وأخلاقهم دفعة واحدة. ولو تم ذلك لما نفذ إلى القلوب.

لقد كان القرآن الكريم باديء ذي بدء، يتناول أصول الدين كالإيمان بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما فيه من بعص وحساب وجزاء، وجنة ونار. ويقيم على ذلك الحجج والبراهين، حت

---

1 نقلا عن موجز في علوم القرآن، ص: 121-122.

2 الميزان في تفسير القرآن: 211/15.

يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية، ويغرس فيها عقيدة الإسلام، ثم تدرج بالأمة في علاج ما تأصل في النفوس من أمراض اجتماعية، وخير دليل على ذلك مسالة تحريم الخمر، مثل قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**"[1] (البقرة: 219).

إذ ارتبطت بالعرب أدبيا واجتماعيا ونفسيا واقتصاديا، وهي جوانب متعددة، أباحث هذا الإدمان المستحكم عند العرب. فلو حرمت دفعة واحدة لكفر بهذا التحريم، ولضاعت فرصة التغيير الإجتماعي. ولكن الوحي تلبث وترصد فجاء بالأمر في خطوات متعاقبة، شملت بيان المنافع والمضار والمأثم، وتدرجت إلى النهي عن اقتراب الصلاة وانتم سكارى، وانتهت إلى التحريم النهائي كما في قوله تعالى: "**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**" (المائدة: 90).

وهكذا كان التدرج في تربية الامة وفق ما يمر بها من أحداث، حتى نجد ان العقيدة والإلتزام بالإسلام استقر في قلوب المسلمين. وبالرغم من كل المحن والهزات التي حدثت من لدن وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى يومنا الحاضر، فإن الإسلام ملأ قلوب المسلمين. فكأنه خالط دماءهم، واستقر في عروقهم.

ب- حكم تخص الرسول صلى الله عليه وسلم

ولتجاوب الوجي مع الرسول عليه الصلاة والسلام صورتان:[2]

- تثبيت فؤاده، بما يتجدد نزوله من القرآن بعد كل حادثة.
- تيسير حفظ القرآن عليه.

1. تثبيت فؤاد الرسول عليه الصلاة والسلام:

1تفسير المنار 219/2.

2ذكر الزروقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن 53/1-55 خمسة وجوه لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه.

إن الرسول عليه الصلاة والسلام بشر، وقد أنيطت به مهمة تحويل مجرى حياة البشرية، تحويلا يستمر إلى يوم القيامة، وإرساء قواعد حضارة تبقى صالحة كر الدهور، وحمل رسالة كتب الله تعالى على نفسه ان يظهرها وينصرها على الدين كله.

ومع عظمة المسؤولية الملقاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام، نجده عديم المال فاقد الانصار، لا يملك من الوسائل التغيرية، إلا أصالة الرسالة التي يحملها، وقوة الإيمان الذي ينطلق منه، فليس معه احد إلا الصفوة من اهله وعشيرته، أما سائر أفراد عشيرته وجميع الناس حوله، فيقفون وجها لوجه أمام دعوته بكل ضراوة، وبشراسة لا توصف.

ولا غرو ان مثل هذه المهمة صعب جدا، بل هو فوق طاقة البشر، فكان لا بد من إمداد غيبي مستمر، حتى يكمل الدين وتتم النعمة، ويسود الإسلام. وكان هذا الإمداد إسعافا ونجدة إلهية، تربط حنان الرسول عليه الصلاة والسلام بآية تسليه، أو بتأكيد النصر له، كلما ادلهم الخطب، واعصوصب الأمر.

وهكذا ما انفك القرآن يتجدد نزوله مهونا على الرسول عليه الصلاة والسلام، الشدائد، مسليا له مرة بعد مرة، مجيبا إليه التأسي بمن قبله من الرسل، يأمره تارة بالصبر، أمرا صريحا، فيقول:

"**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** " (المزمل: 10).

"**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** " (الأحقاف: 35).

وينهاه أخرى عن الحزن نهيا صريحا، كما في قوله:

"**فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** " (يس: 76).

وقوله:

"**وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** " (يونس: 65).

ويعلمه أحيانا ان الكافرين لا يجرحون شخصه في نفسه، ولا يتهمونه بالكذب لذاته، وإنما يعاندون الحق بغيا من عند أنفسهم، كما في قوله تعالى:

"قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ " (الأنعام: 33).

وفي تفسير هذه الآية الكريمة، يقول ابن كثير: "يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه له ومخافتهم إياه: " **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ** " أي أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم".[1]

وتكرار نزول هذه الآيات المسلية المعزية، المرشدة إلى الصبر الجميل، والأسوة الحسنة، هو الحكمة المقصودة من إيراد أنباء الرسل وقص قصصهم، ولو استمر اضطهاد المشركين لرسول الله عليه الصلاة والسلام وانقطع عليه الوحي المثبت لقلبه، فلم يتجدد نزول الآيات المسلية له، لشعر عليه الصلاة والسلام بما شعر به البشر في هذه الحالات، من إستيلاء الحزن على قلبه، واستبداد اليأس بنفسه.

وبهذا المعنى يشير السيد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: " **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا** " (الأنعام: 34).

فقال: "والآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بعد تسلية وإرشاد إلى سنته تعالى في الرسل والأمم، أو هي تذكير بهذه السنة وما تتضمنه من حسن الأسوة، إذ لم تكن هذه الآية أول ما نزل في هذا المعنى".[2]

2. تيسير حفظ القرآن:

إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وأن تدرج تنزيل القرآن يسر عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإنهم كانوا يكتبون ويقرأون. فلقد كان موسى كاتبا، كما تذكر التوراة التي بأيدينا[3] فقد جاء فيها: وقال الرب لموسى: "أكتب لنفسك هذه الكلمات. لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك. تكتب على اللوحين كلمات العتد – الكلمات العشر".[4]

1تفسير ابن الكثير: 129/2.

2تفسير المنار: 377/7-378.

3موجز في علوم القرآن، ص: 119.

4سفر الخروج، التوراة، الإصحاح: 27/34-28.

وقال الفراء في معنى قوله تعالى: " **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** " (الفرقان: 32)، انها من قول المشركين أي هلا أنزل عليه القرآن جملة كما أنزلت التوراة على موسى. قال تعالى: **وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**، لنثبت به فؤادك، كان ينزل الآية والآيتين".[1]

وقيل: "معنى لنثبت به فؤادك: لنحفظه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان أميا، لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليسير عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإنه كان كاتبا قارئا، فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة".[2]

وقال ابن فروك:[3] "قيل: أنزلت التوراة جملة، لأنها نزلت على نبي يقرأ ويكتب –وهو موسى- وانزل القرآن مفرقا لأنه انزل غير مكتوب على نبي أمي".[4]

ولقد ساوى الله تعالى نبينا بسائر الأنبياء في إنزاله القرآن جملة، وفضل رسول الله عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء، فجعل له الأمرين، إنزاله جملة، ثم تنزيله عليه منجما ليحفظه. إذ تردد الوحي في كل ما يستجد من حادثة، أشد عناية بالمرسل إليه، كما أن فيه ما يبعث السرور في قلب الرسول عليه الصلاة والسلام.

ج- حكم تخص الناس:

أ) قوة الإلزام والإقناع:

إن نزول القرآن تنجيما، جعل للحكم المنزل قوة إلزامية واضحة، باعتباره حكم الله المنزل في تلك الواقعة، وفي ذلك الظرف ومنحه قوة الإقتناع به، والتسليم له، ولنزوله عند قيام الحدث، أو مثول الواقعة. فالمصاحبة الزمنية بين الحكم الذي تنزل به الآية، والحدث أو الواقعة سبب متين للإمتثال والتطبيق. الأمر الذي أحدث ترابطا، وتلازما بين التشريع والتفيذ.

1معاني القرآن، للفراء: 267/2 وما بعدها.

2البرهان: 231/1.

3هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، الأديب المتكلم الأصولي: "ت 406 هـ" ترجمة انباه الرواة، 110/3.

4البرهان: 231/1.

ولهذا كان المسلمون إذا سمعوا عشرا من آيات يهرعون لتطبيقها، ثم يعودون للإستزادة، ولو فرض نزوله دفعة واحدة لما تحقق ذلك، فقد نزلت التوراة دفعة واحدة، فلم يتلقها اليهود بالقبول، إلا بعد أن نطق الجبل فوقهم كأنهم ظلة.

ب) ربط المسلمين بالمصدر التشريعي:

كان من جراء تنجيم القرآن، ان صار المسلمون إذا وقعت واقعة أو وجد أمرا، استشرفوا هبوط الوحي، وانتظروا حكم الله تعالى لينزل إليهم، وفي هذا شد وثيق لتصرفات الناس بالمصدر التشريعي. ولعل ابن عباس في قوله: نزله جبريل بجواب كلام العباد واعمالهم".[1]

عند تفسير قوله تعالى: " **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ** " (الفرقان: 33). إنما كان يوميء إلى هذا النوع من التربية السامية التي أتاحها للمؤمنين نزول كتابهم منجما بحسب الحاجة، مندرجا مع الوقائع والاحداث.[2]

ج) دفع الضيق والحرج التشريعي:

إن تنزيل القرآن نجوما مفرقا سورة سورة، وآية آية بحسب بلوغ الناس من استعداد تلقي المعارف الأصلية للإعتقاد والأحكام الفرعية للعمل، جعل الشرع يحيط بالناس شيئا فشيئا، دون شعورهم بأدني حرج، فهم ينفذون الإسلام، وينسلون من الجاهلية في سياق حياتهم الإعتيادية من غير إلجاء ولا إكراه، في حين لو نزل التشريع دفعة واحدة، وأزلم الناس به جملة، وجد الناس فيه حرجا، وكلفة، ولعانوا منه ضيقا ومشقة،[3] " **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** ". (الإسراء: 106).

1الإتقان: 18/1.

2أنظر مناهل العرفان، للزرقاني: 55/1-57.

3المصدر نفسه: 57/1. فقد فصل القول في هذه الحكمة.

أسئلة للفهم

1- أذكر أدلة نزول القرآن مفرقا

2- ما هي حكم نزول القرآن جملة

3- فصل في حكم وأسرار نزول القرآن مفرقا في الحكم التي تخص القرآن والرسول والأمة

4- كيف نستثمر نزول القرآن منجما في مجال التربية والتعليم

الدرس الخامس:

أسباب النزول

1. سبب النزول مفهومه وأهميته.
2. تعدد الأسباب والنازل واحد وتعدد النازل والسبب واحد.
3. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

سبب النزول هو الحادث الذي نزلت الآية متحدثة عنه أو مبنية لحكمه، موضحة لظروف إنزالها، فهي أشبه شيء بالمذكرات التفسيرية في التشريع الحديث، ونضيف أن هناك ضربين من الآيات:[1]

1. ضرب يتحتم فيه معرفة سبب النزول، مثل آيات الأحكام للزوم معرفة سبب النزول، لتحقيق البحث في هذه الأحكام، للوصول إلى معرفة أصول التشريع، لأن معرفة السبب تساعد على معرفة وجه الحكمة الباعثة على التشريع، ولبيان تخصيص الحكم أو نسخه، وبذلك يتنافى التعارض الظاهري في القرآن.

2. ضرب لا يتحتم فيه معرفة السبب، مثل آيات القصص، فإن أغلبها نزل في غير سبب خاص، ولا يؤخذ من هذا ان جميع آيات القصص لا يفهم إلا إذا عرف السبب، مثل "الخضر" مع "موسى" في سورة الكهف، ومما لا يتحتم في فهمه معرفة السبب قصص الأمم الغابرة، لأنها وارد للعبرة والعظة، ولذلك يلاحظ أن قصص الأمم البائدة تتكرر مثل قصة موسى وابراهيم، كذلك لا يتحتم معرفة أسباب النزول في آيات: العبادة، والزجر، والوعد والوعيد والموعظة والإرشاد، والأمر والنهي، مثل: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** " (المائدة: 6).

1- سبب النزول مفهومه وأهميته:

معنى سبب النزول:

هل أن القرآن الكريم ما كان ينزل منه شيء إلا إجابة عن سؤال يرفع على الرسول عليه الصلاة والسلام، أو تحديدا لموقف يجد عند المسلمين أو حكما لواقعة حدثت؟ ام أن القرآن كان ينزل ابتداء دون داع سابق؟ أم منه ما نزل ابتداء، ومنه ما نزل لسبب، فكان نزوله بناء على ذلك السبب؟

وقبل بيان هذه الأمور لا بد من معرفة سبب النزول:

سبب النزول:

بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.[1] وهو ما نزلت من اجله آية، أو أكثر مجيبة عنه، أو حاكية له، أو مبنية حكمه، ومن الأمثلة على أسباب النزول:

1علوم القرآن، أحمد عادل كمال، ص: 28.

1. مسجد ضرار:

اتخذ منه بنو عمرو بن عوف مسجد "قباء" وبعثوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يأتيهم، فأتاهم وصلى فيه، فحدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف، فقالوا: نبني مسجدا فنصلي فيه، ولا نحضر جماعة محمد، وكانوا إثنى عشر رجلا، وقيل: خمسة عشر رجلا منهم: ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، ونعشل بن الحرث، فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا منه اتوا رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلية الشاتية، وانا نحب أن تأتينا فتصلي فيه لنا وتدعو بالبركة. فقال عليه الصلاة والسلام: "إني على جناح السفر، ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه. فلما انصرف رسول الله عليه الصلاة والسلام من تبوك، أنزل الله تعالى: " **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**" (التوبة: 107). فصار بناء مسجد ضرار سببا من أسباب النزول.

2. عن سلمان الفراسي قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم –يعنون سلمان الفارسي وأبا ذر، وفقراء المسلمين– وكانت عليهم جباب الصوف، لم يكن عليهم غيرها، جلسنا إليك وحادثناك واخذنا عنك، فانزل الله تعالى: " **وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ... حتى ... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا** " (الكهف: 27-28-29). فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى،

1لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص: 6.

قال: "الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات".[1]

3. إطعام المسكين واليتيم والأسير:[2]

مرض الحسنان –رضي الله عنهما– فنذر الإمام علي –رضي الله عنه– صوم ثلاثة أيام لله تعالى عند شفائهما فشفيا، فصام وفاطمة الزهراء وجاريتهم فضة، وكانوا إذا أرادوا الإفطار جاءهم في اليوم الاول مسكين، واليوم الثاني يتيم، والثالث أسير، وكانوا يطعمونهم افطارهم، ويفطرون على الماء وحده في كل ليلة، فانزل الله تعالى: " **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**" (الإنسان:8).

ومن ملاحظة ما قدمناه من أمثلة من تعريف سبب النزول. نقول أن الآيات القرآنية أو السور يمكن ان تصنف إلى قسمين:

1) ما نزل عقب واقعة أو سؤال، وكان هذا السؤال هو المثير والداعي للنزول، ولا شك انه كان معاصرا للوحي، وذلك كالذي روي عن ابن عباس، قال: "لما نزلت: ") **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** " صعد النبي عليه الصلاة والسلام على الصفا، فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقالوا له: ما لك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟[3] فنزلت: " **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ** " (المسد: 1-2).

2) ما نزل ابتداء، دون واقعة أو امر حدث في عصر الوحي اقتضى نزول الوحي بشانه ولأجله، وهذا القسم يشمل أحداث الأمم الماضية التي يسردها القرآن للتوعية والتدبر والإعتبار، كما يشمل الانباء الغيبية وتصوير البرزخ، ومشاهد البعث والنشور، وأهوال يوم القيامة، واهل الجنة والنار، وأوصاف الجنة وأوصاف النار، وقصة بناء الكعبة ونحو ذلك. ومن الواضح ان قصص الأمم الغابرة ونحوها، وقعت قبل

1أسباب النزول للواحدي، ص: 201-202.

2تفسير النفسي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 318/4.

3صحيح البخاري 16/6-17، أسباب النزول، للواحدي، ص: 308.

عصر الوحي، ونزل الوحي عنها لغرض إعلام الرسول، والمؤمنين بوقائع تلك القصص وأحداثها ونتائجها، وما عليه اهل الجنة من نعم، وما عليه اهل النار من شقاء وعذاب، وهكذا –ومع ذلك فقد يرفع سؤال من الصحابة أو غيرهم غلى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن قصة "ذي القرنين"[1] مثلا– ما جرى له " **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا**" (الكهف: 83).

فإن هذا السؤال يعد سببا لسرد أحداث القصة على الرسول عليه الصلاة والسلام واطلاع الناس عليها، ولا يعد مثيرا لأحداثها، لأنها قد سبقته بقرون.

أهمية معرفة سبب النزول:

لمعرفة سبب النزول اهمية كبيرة، في التعرف على مدلول الآية ومفهومها، ووجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ولا يكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها.[2] ومن فوائده الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، إذ كما قيل: العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.[3] وعليه فإن صياغة الآية وطريقة التعبير عنها يتأثر غلى حد كبير بسبب نزولها، فالإستفهام مثلا لفظ واحد، ولكنه يخرج إلى معان أخرى كالتقرير والنفي والإرشاد والإنكار وغيره.[4] ولا يفهم المعنى المراد إلا بالأمور الخارجية والقرائن الحالية.

وان معرفة الزمان والمكان والأشخاص وسائر ظروف "قصة" الآية أو السورة، أكبر تأثير على سبر غورها، وإماطة اللثام عن مكنون مرادها. والعكس بالعكس، فالجهل بتلك الأمور يؤدي إلى تعطيلها، ولربما العمل بخلاف مؤداها ومرماها، قال الواحدي: لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.[5]

وفيما يلي الأمثلة لبيان معرفة سبب النزول:

1أسباب النزول للواحدي، ص: 202.

2الإتقان 38/1.

3لباب النقول في أسباب النزول، ص: 6، الإتقان 38/1.

4الصاحبي، ابن فارس، ص: 292 وما بعدها.

5أسباب النزول، ص: 4، وانظر موجز في علوم القرآن، ص: 128.

1. قوله تعالى: " **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** " (البقرة: 115).

والمتبادر من مدلول ألفاظ الآية، ومن ظاهر سياقها أن المصلي إلى آية جهة كانت في السفر والحضر، فله المشارق والمغارب، فأينما يصلي يولي وجهه، فقد توجه إلى الله تعالى، وهذا خلاف الإجماع، وهو يتعارض مع قوله تعالى: " **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ... " (البقرة: 144)، وبالتعرف على سبب النزول يتضح أنها "نزلت في صلاة التطوع وعلى الراحلة تصليها حيثما توجهت إذا كانت في سفر، واما الفرائض فحسب قوله تعالى: "...**وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ..." (البقرة: 150). يعني ان الفرائض لا تصلوها إلا إلى القبلة".[1]

2. قوله تعالى: " **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** " (المائدة: 93). والقصة[2] لما نزل تحريم الخمر وأنها رجس من عمل الشيطان، قال بعض المسلمين: كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت هذه الآية: "**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا**".

3. قوله تعالى: "**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أو اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**" (البقرة: 158).

فظاهر الآية هو رفع الإثم، ونفي الحرمة عمن يسعى بين الصفا والمروة، وأن السعي سائغ وليس فيه حرمة، وليس في ظاهر الفاظ الآية ما يفيد وجوب السعي، وهذا فهم من لم يقف على سبب نزولها. والقصة[3] أن بعض الصحابة تأثموا من السعي بينهما، لأنه من عمل الجاهلية، حيث كان على الصفا "إساف"، وعلى المروة "نائلة"، وهما صنمان، وكان اهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فنزلت الآية لنفي

1تفسير ابن الكثير 158/1، والإتقان: 39/1.

2أسباب النزول للواحدي، ص: 140، والإتقان: 38/1.

3أسباب النزول، ص: 28، والميزان في تفسير القرآن: 387/1.

هذه الفكرة من جهة، والإعلام ان الصفا والمروة من شعائر الله من جهة أخرى، فمن يجهل سبب نزولها يجهل الغرض من طريقة التعبير الذي جاءت به الآية وبالتالي فإنه سيجهل وجوب السعي بين الصفا والمروة ويعتبره أمرا سائغا لمن أراده.

ومن هذه الأمثلة يمكن تلخيص أهمية معرفة سبب النزول بالأمور التالية:

1- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

2- الوقوف على المعنى المراد وإزالة الإشكال.

3- معرفة ما إذا كان اللفظ عاما ويقوم الدليل على تخصيصه.[1]

2- تعدد الأسباب والنازل واحد وتعدد النازل والسبب واحد

1. تعدد الأسباب والنازل واحد:

ذكرنا في شرحنا معنى سبب النزول: انه قد كان يحدث في عصر الوحي ما يكون سببا لنزول آية أو أكثر، وهذا السبب نفسه قد يتكرر في اكثر من مكان أو زمان، أو من اكثر من شخص أو ظرف ويستدعي ذلك نزول الوحي بجواب له، وتسمى هذه الحالة: تعدد الأسباب والنازل واحد. قال الزكرشي: "وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه، وتذكيرا به عند حدوث سبب خوفه نسيانه".[2] فتعدد الأسباب قد يقتضي تعدد النزول، وإن كان النازل واحدا، مثاله ما ورد في سورة الإخلاص من أنها نزلت نفسها مرتين: إحداهما بمكة جوابا للمشركين، والاخرى بالمدينة جوابا لأهل الكتاب، وذلك بعد الهجرة المباركة إليها. فهنا نجد تعدد الأسباب وتعدد النزول غير ان النازل واحد.[3]

1الإتقان: 38/1.

2البرهان: 29/1، والإتقان: 47/1.

3الإتقام: 46/1.

والحكمة في ذلك كله كما أسلفنا "إنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فيوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها تذكيرا لهم بها، وبانها تتضمن هذه".[1]

2. تعدد النازل والسبب واحد:

قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عدة في سور شتى، مثاله ما أخرجه الترمذي والحاكم عن أم سلمة،[2] أنها قالت: "يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء" فأنزل الله: " **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**" (آل عمران: 195).

وأخرج الحاكم عنها أيضا قالت:[3] "قلت يا رسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء؟" فأنزلت: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" (الأحزاب: 35).

وبذلك يكون السبب واحدا، وهو سؤال أم سلمة، النازل متعددا، وهو هاتان الآيتان من سورة آل عمران والأحزاب.

تعدد الآراء في سبب النزول:

لا تعارض فيما إذا وردت روايات تقول: ان آية: "**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**" (المعارج: 1). نزلت بسبب كذا، ووردت روايات أخرى تقول انها وردت بمناسبة امر أخر لجواز ان يكون نزولها في أكثر من سبب واحد، كما هو الحال في تعدد الأسباب، فإنه جائز ان يتعدد النازل، والسبب واحد كما ذكرنا.

1البرهان: 31/1، الإتقان: 31/1.

2أسباب النزو، للواحدي، ص: 93. الإتقان: 45. ولباب النقول: 69.

3الإتقان: 45/1، ولباب النقول، للسيوطي: 226.

ومن الجائز أيضا أن ينقل سبب النزول، ويراد به التفسير.[1] وقال الزركشي: "قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها".[2]

3- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

السؤال هو: هل السبب الذي استدعى نزول الآية يخصص أو يقيد المدلول القرآني العام لها؟ وبعبارة أخرى –هل ان ما ينزل من القرآن لسبب من الأسباب يقتصر على ذلك السبب فيها أفاد من حكم ومدلول؟ أم يتعداه إلى غيره من الأمور والوقائع المطابقة؟

اتفق علماء الأصول على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأرادوا بهذه أن السبب الذي نزل اثره الوحي لا يحبس التشريع العام ولا يقيده، وإنما يكون ذلك السبب مجرد مثير لنزول الوحي، فيشمله الحكم النازل ويبقى هذا الحكم على عمومه ساريا على كل الوقائع والأحداث المماثلة لذلك السبب مثاله:

إن الله تعالى أوحى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (النور: 4)، ولفظ المحصنات يشمل الزوجات وغيرهن، فوقع الصحابة في حرج وذهبوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم كارهون، وشرحوا له ما أشكل امره عليهم قائلين: يا رسول الله: إذا رأى احدا منا رجلا مع امرأته، ان اخبر بما رأى جلد ثمانين جلدة –لعدم البينة– وان التمس أربعة شهداء قضى الرجل منها حاجته وانصرف...،[3] فأنزل الله تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (النور: 6-7).

1الإتقان: 1/41-42.

2البرهان: 1/32، والإتقان: 1/42.

3صحيح البخاري: 5/3، ومجمع البيان: 19/16، وأسباب النزول للواحدي، ص: 212.

قال الفراء: "وقوله: "**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ**" بالزنا، نزلت في عاصم بن عدي لما أنزل الله الأربعة الشهود، قال: يا رسول الله ان دخل احدنا فرأى على بطنها رجلا "يعني امرأته"، احتاج أن يخرج فيأتي بأربعة شهداء إلى ذلك "ما"[1] قد قضى حاجته وخرج، وان قتلته قتلت به، وإن قلت فعل بها جلدت الحد فأبتلي بها".[2]

فنزول آية: " **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ** ..." في مثل هذا الظرف لا يقصر حكمها على من نزلت بهم، وإنما هي حكم لمن قذف زوجه بالخيانة في أي زمان ومكان، وهكذا شأن آية الظهار في قصة "سلمة بن صخر" حين ظاهر زوجته حتى ينسلخ شهر رمضان ثم واقعها فيه على غفلة منه، فانزل الله تعالى حكم الظهار. وان قوله: "**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**" (المائدة: 49).

نزل في بني قريضة فيما روى في ذلك ابن اسحاق عن ابن عباس.[3]

وهكذا شأن سائر الاحكام التي تتضمن آيات نزلت بأسباب خاصة، فإنها عمومها دون ان يخصها السبب.

أسئلة للفهم

بين مفهوم أسباب النزول وأهميته

1- أذكر أمثلة من القرآن في تعدد الاسباب والنازل واحد

2- أذكر أمثلة من القرآن في تعدد النازل والسبب واحد

3- اشرح قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع التمثيل

---

1 كذا وردت.

2 معاني القرآن للفراء: 246/2، وانظر موجز علوم القرآن، ص: 133.

3 أسباب النزول للواحدي، ص: 132.

الدرس السادس:
جمع القرآن وتدوينه

1. تدوين القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
   أ. أدوات التدوين
   ب. استظهار القرآن وأسبابه في عهد الرسول
2. جمع القرآن وتوحيد المصاحف في عهد الخلفاء
   أ. جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق
   ب. جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان.
3. المصاحف العثمانية وعددها

1- تدوين القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

نزل القرآن على الرسول خلال نيف وعشرين سنة، وكان نزوله منجما، ولقد سهل ذلك على الرسول وعلى صحبه حفظ ما كان ينزل من القرآن.

ويطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء معاني شتى منها:

1. جمعه بمعنى حفظه، ومنه جماع القرآن: أي حفاظه.
2. جمع القرآن بمعنى كتابته كله مفرق الآيات والسور.

أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة في صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعا.

3. جمع القرآن – بمعنى حفظه واستظهاره في لوح القلب.
4. نسخه على قراءة واحدة متواترة في مصحف واحد.

ولقد سجل القرآن على ما كان ميسورا من أدوات الكتابة، فجاءت الروايات تذكر قسما منها، وهو ما كان متوفرا آنذاك.

أ. أدوات التدوين:

1. العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل بعد تجريده من الخوص، يكتب على الطرف العريض منه.
2. اللخاف: بكسر اللام، وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء جمع لخفة، وهي الحجارة الدقاق.
3. الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير، أو الشاة –كانوا إذا جف كتبوا عليه.
4. الأقتاب: جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.
5. الكرانيف: جمع كرنافة. وهي أصول سعف النخل.

6. الرقاع: جمع رقعة، وتكون جلد أو ورق، أو غيرها من ادوات الكتابة، وقد روي عن زيد بن ثابت انه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع".[1]

ب. استظهار القرآن وأسبابه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

أولا: استظهار القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

إن جمع القرآن بمعنى حفظه واستظهاره في لوح القلب، تم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة جلية واضحة، لا تقبل الشك، ولا تحتاج إلى دليل عليها. فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دنياه إلى آخرته إلا بعد أن عارض ما في صدره على ما في صدور الحفظة الذين كانوا كثرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الحفاظ وسيدهم قاطبة، والشواهد على استظهار القرآن كثيرة، منها:

1. نزل القرآن الكريم على النبي الأمي، فكانت همته منصرفة إلى حفظه، واستظهاره ليحفظه كما نزل عليه، ثم يقرأه على الناس على مكث ليحفظوه ويستظهروه، فقد بلغ من حرص النبي صلى الله عليه وسلم الشديد على حفظ القرآن أنه كان يسابق الوحي في تلاوته، لئلا يفوته منه شيء، فكان يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه، قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي، حرصا على ان يحفظه، حتى أمره الله قائلا:

" لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (القيامة: 16 - 19).

ومعناه لا تحرك لسانك يا رسول الله للتأكيد على كلمات الآيات قبل فراغ جبريل: "إن علينا ان نجمعه في صدرك ثم نقرأه، فإذا قرأناه، يقول: إذا أنزلناه عليك "فاتبع قرآنه".

1الإتقان: 76/1.

فاستمع له وأنصت "ثم إن علينا بيانه"، إن علينا أن نبنيه بلسانك، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق، وفي لفظ: استمع، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله".[1]

و"إن أمر هذا الوحي، وحفظ هذا القرآن، وجمعه وبيان مقاصده، كل أولئك موكول إلى صاحبه ودور النبي – هو التلقي، والبلاغ فليطمئن بالا، وليتلقى الوحي كاملا، فيجده في صدره منقوشا ثابتا".[2]

2. قوله تعالى: "**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**" (الأعلى: 7).

فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يعيد صلى الله عليه وسلم قراءة ما نزل، مخافة أن ينساه، فكان صلى الله عليه وسلم لا يكاد جبريل يفرغ من آخر الوحي، حتى يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة أوله، وترديده آية آية، وتحريك لسانه به حرصا عليه، وشغفا به، وتأمينا له لتبليغه الأمة، حتى وافته بشرى ربه برفع مشقة الإستظهار عنه، وأن الله تعالى تكفل بقلبه، فلا يسنى ما يقرئه به.[3]

3. كما أن جماع القرآن، أي حفاظه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا أكثر من ان تحصى أسماءهم، وحسبك ما يقال عن كثرتهم أنه في غزوة بئر معونة، قتل منهم – أي من القراء سبعون. قال الزنجاني: "ولأجل ذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم "عليا" عليه السلام، بجمعه، وحذر من تضييعه".[4]

كما قتل يوم اليمامة "70" من حفاظ القرآن في عهد أبي بكر –رضي الله عنه– وفي رواية أنهم كانوا أربعمائة مقريء[5] ثم حسبك على كثرتهم، انه كانت منهم سيدة هي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث،

1صحيح البخاري، باب جمع القرآن: 112/6.

2في ظلال القرآن، سيد قطب: 29/8 /204.

3مجمع البيان: 107/30/6، بتصرف.

4تاريخ القرآن، للزنجاني، ص: 61.

5فضائل القرآن، ابن الكثير، ص: 9.

وكان رسول الله يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وقد أمرها صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها.[1]

4. كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدفع كل مهاجر جديد إلى أحد الحفاظ ليعلمهم، فشاع حفظه بين الرجال والنساء، حتى أن المرأة المسلمة كانت ترضى سورة من القرآن أو أكثر مهرا لها. فعن سهل بن سعد قال: "أتت النبي صلى الله عليه وسلم" امرأة فقالت إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لي في النساء من حاجة، فقال رجل، زوجنيها، قال أعطها ثوبا، قال: لا أجد، قال: أعطها ولو خاتما من حديد، فاعتل له، فقال: ما معك من القرآن؟ قال: كذا وكذا، قال زوجتكما بما معك من القرآن".[2]

5. اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم عددا من الكتاب للقرآن الكريم في كل من مكة والمدينة، في طليعتهم الخلفاء الأربعة، وزيد وأبي.[3]

6. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر بنفسه تعليم المسلمين القرآن بالإضافة إلى تعليم بعضهم بعضا، قال عبد الله بن مسعود لأصحابه في الكوفة: "إني قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة".[4]

7. وذكر "الطبري عن احدهم انه قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا، أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى علموا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا".[5]

1تاريخ القرآن، الزنجاني: 44.

2فضائل القرآن، ابن الكثير، ص: 40، وصحيح البخاري، جمع القرآن: 108/6، والتاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، للشيخ منصور: 332/2.

3الوزراء والكتاب، الجهشياري، تحقيق مصطفى السقا، ص: 14.

4تفسير الطبري، 28/1.

5تفسير الطبري، 80/1.

8. وجاء جماعة للرسول فبعث معهم عباد بن بشر وطلب منه أن يعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن.[1]

وقد تطرق المستشرق الفرنسي (م. غود فروا)، في تأكيد هذا المعلم، وذلك من خلال إشارته الواضحة لعلاقة الوحي بالنبي صلى الله عليه وسلم، ودور الصفوة المؤمنة من طلائع الصحابة الأوائل في مسيرة الدعوة الإسلامية المباركة. فقال: "ومنذ الأيام الأولى للجماعة الإسلامية دعى الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه إلى الإجتماع، ليفضي إليهم بالوحي ... ويحتمل أن تكوت هذه الإجتماعات لغرض العبادة وتلاوة القرآن، واحتمال تفسير بعض غوامضه، ومحاولة تثبيته في ذاكرة المؤمنين، والواقع ان ذاكرة هؤلاء المؤمنين الأوائل، أصبحت خير مؤتمن على الوحي، وناقل له ... ومما يميز الإنسان ويرفع من قدره، أن يكون حافظا، يحوي القرآن كله في صدره".[2]

وأشتهر كثيرا من الصحابة بحفظ القرآن الكريم، فقد ذكر أبو عبيدة في كتابه "كتاب القراءات": "القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه فعد من المهاجرين: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالما، وأبا هريرة، وعبيد الله بن الصامت، والعبادلة،[3] وعائشة، وحفصة، وأم سلمة.

ومن الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد".[4]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكي في الصحابة روح العناية بحفظ القرآن، ويبعث إلى المدن والقرى من يعلمهم ويقرئهم، كما بعث –قبل الهجرة– مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة مع من بايعه بالعقبة الأولى ليعلمانهم الإسلام، ويقرئانهم القرآن.[5]

1طبقات ابن سعد، 116/2.

2النظم الإسلامية، م غود فروا، ص: 73، نقلا عن كتاب موجز، علوم القرآن، ص: 154.

3وهم: عبد الله بن مسعود "ت: 32هـ"، عبد الله بن عمرو بن العاص "ت: 65 هـ"، عبد الله بن عمر "ت: 73 هـ"، عبد الله بن عباس "ت: 80 هـ".

4تاريخ القرآن، الزنجاني، ص: 40.

5سيرة ابن هشام، 76/2.

فكان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل من الصحابة يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.[1]

ثانيا: أسباب اهتمام المسلمين لاستظهار القرآن

إن عظمة القرآن في نفسه، واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي صلى الله عليه وسلم وما يستوجبه ذلك من الثواب، كل ذلك يثبت أن هناك أكثر من سبب يدفع بالمسلمين لاستظهار القرآن، بل أن في القرآن موضعا لعناية المسلمين، وسببا لاشتهاره حتى بين الأطفال والنساء منهم فضلا عن الرجال، وهذه الجهات هي:

1. أنه دستورهم الذين يسيرون بموجبه، وفقههم الذي بين لهم الحلال والحرام، ومالهم وما عليهم، فلا بد أن يستظهروه، لا سيما وأنهم ما كانوا يتعلمون القرآن إلا للعمل بمقتضاه، وتحديد تصرفاتهم وعلاقاتهم ومواقفهم حسب ما يأمر وينهي. فلم يكونوا كما عليه اليوم الكثير من المسلمين في علاقتهم بالقرآن، وحفظه للتكسب به، وتلاوته في الحفلات والمناسبات لتجميع الناس، أو ترتيله في آذان الموتى من على قبورهم، متناسين أنه دستورهم، وسبيل سعادتهم وعزتهم، ونجاتهم ورفعتهم في الدنيا والآخرة، به سعدوا وسادوا وبتركه ذلوا وخزوا، ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون. وأنه لا سبيل إلى الهداية إلا سبيله، ولا مفر إلا إليه، ولا سعادة إلا به، وهو ما كان عليه إيمان المسلمين الأوائل.[2]

2. بلاغة القرآن: فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البليغ، ولذلك فهم يحفظون أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف بالقرآن الذي تحدى ببلاغته كل بليغ وأخرس بفصاحته كل خطيب لسن. وكانت العرب بأجمعهم متوجهين إليه، سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن يحفظه لإيمانه، والكافر يتحفظ به لأنه يتمنى معارضته وإبطال حجته.[3]

1مناهل العرفان، للزرقاني 313/1.

2موجز علوم القرآن، ص: 155.

3البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص: 253.

3. كانت لحفاظ القرآن منزلة مرموقة بين المسلمين عامة، ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فقد علم كل مطلع على التاريخ ما للقراء والحفاظ من المنزلة الكبيرة، والمقام الرفيع بين الناس وهذا أقوى سبب لإهتمام الناس بحفظ القرآن جملة، أو بحفظ القدر الميسور منه،[1] قال معاذ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من رجل علم ولده القرآن إلا توجه الله به يوم القيامة، وكسي حلتين لم ير الناس مثلهما".[2]

4. الاجر والثواب الذي يستحقه القاريء والحافظ بقراءة القرآن وحفظه.

هذه هي اهم العوامل التي تبعث على حفظ القرآن والإحتفاظ به، فقد كان المسلمون يهتمون بشأن القرآن، ويحفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، وبما يهمهم من مال وأولاد.[3]

تدوين القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد تم تدوين القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان كلما هبط الوحي بالآيات الكريمة، ثبتت في ذاكرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وسجلتها فورا أيدي أمناء الوحي، ما كان لديهم من ادوات في عسب ولخاف ورقاع ونحوها، وكانت تودع في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي بعض الشواهد عل تدوين القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1. روى الطبراني وابن عساكر عن الشعبي قال:

"جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة من الأنصار: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث".[4]

1المصدر نفسه، ص: 253.

2تفسير الطبري: 121/1.

3البيان في تفسير القرآن، ص: 253 – 254.

4البرهان، للزركشي: 241/1.

2. وروى قتادة، قال: "سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الانصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد".[1]

3. وروى مسروق: ذكر عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، فقال: "لا أزال أحبه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب".[2]

على أن في هذه الرواية تأملا: إذ كيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتهم وتفرقهم في البلاد، ويستعلم أحوالهم ليمكنه أن يحصل الجامعين للقرآن في ستة؟.

فقد ذكر الحافظ الذهبي في طبقات القراء: "وان هذا العدد هم الذين عرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم واتصلت بنا أسانيدهم، وأمن جمعه منهم، ولم يتصل بنا فكثير...".[3] وأما الذين عرضوا القرآن على النبي فسبعة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء.[4]

قال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي[5] (ت: 243 هـ) في كتاب "فهم السنن": "كتابة القرآن ليست محدثة، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب ... وكان ذبلك بمنزلة اوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم".[6]

1صحيح البخاري، باب القراء من أصحاب النبي، 102/6 – 103.

2صحيح البخاري، باب القراء من أصحاب النبي: 102/6.

3البرهان: 242/1.

4المصدر نفسه: 242/1 – 243.

5أحد رجال الصوفية "ت 243 هـ"، انظر ترجمته في صفوة الصفوة 207/2.

6البرهان: 238/1، وتاريخ القرآن، الزنجاني، ص: 45.

5. قال زيد بن ثابت: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، وفي رواية من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال".[1] وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الخط.

وفي قول زيد بن ثابت:" "فجمعته من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال"، ما أوهم بعض الناس أن أحدا لم يجمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. والشواهد التاريخية، تثبت أن زيد بن ثابت أراد بقوله: "... وصدور الرجال" أن يعارض ما هو مدون لديه بما هو مستظهر من القرآن عند الحفاظ ليجمع بذلك صحة الإستظهار وصحة التدوين في مصحف واحد. وهذا ما يؤكده قول الحاكم وفي مستدركه: "... هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وفيه الدليل الواضح ان القرآن إنما جمع على عهد رسول الله.[2]

6. خلال ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة، بين أول نزول القرآن وآخره، كان الرسول طيلة هذه المدة يقول لأصحابه، ويدعو من يكتب عنده كلما نزل عليه شيء من القرآن: "ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، وتنزل الآيات فيقول: "ضعوا في هذه السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، مما يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يأمر بتدوين القرآن، ويعلم كتبة الوحي ان هذا الترتيب الذي رتبه الله عليه، ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه.[3]

7. آيات التحدي: لقد القرآن جميع البشر وطالبهم أن يأتوا بسورة مثله، وتحدى الكفار والمشركين على الإتيان بمثله، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله، فلم يستطع احد أن يقوم بمعارضته، مما يدل على ان القرآن بآياته وسوره كان في متناول أيديهم.[4]

1فضائل القرآن، ابن كثير، ص: 09.

2المستدرك، للحاكم: 611/2.

3كتاب المصاحف، ابن أبي داود، ص: 31، ومقدمتان في علوم القرآن، ابن عطية، ص: 41.

4البيان في تفسير القرآن، للخوئي، ص: 254.

8. قال الأمدي (ت 617 هـ) في كتابه "الأفكار الأبكار": "إن المصاحف المشهورة في زمن الصحابة كانت مقروءة عليه صلى الله عليه وسلم ومعروضة".[1]

9. وفي رواية علي بن إبراهيم، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: يا علي إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه، ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة، وانطلق الإمام عليه فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه".[2]

فإذا أضفنا إلى هذه الشواهد رواية إسلام عمر[3] –رضي الله عنه– وتعليم الكتابة صحابته، ومن ذكرهم "ابن النديم" في الفهرست،[4] بالإضافة إلى أهمية القرآن بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم، والأمة الإسلامية، والشريعة الغراء، يتحصل لدينا اليقين والقطع، بأن القرآن لم يستظهر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب، بل دون كاملا، حتى صار حفاظ القرآن الكريم يقرؤونه كاملا مرتبا على نحو ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم من جبريل في العرضة الأخيرة،[5] فكان ضمانا لترتيب السور والآيات في مصحف واحد.

إن جمع القرآن على سورة مصحف مرتب الآيات والسور لم يتم في عهد رسول الله صلى الله وسلم، ولعل من أسباب ذلك:

1تاريخ القرآن، الزنجاني: 39.

2المصدر نفسه، ص: 44.

3حين وجد في يد أخته فاطمة "صحيفة" فيها آيات من القرآن، وكان بينها وبينه ما كان، مما أدى إلى إسلامه. راجع تاريخ القرآن الزنجاني، ص: 34.

4ذكر ابن النديم في الفهرست، ص: 30: "الجماع للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: علي بن أبي طالب –رضوان الله عليه–، سعيد بن عبيد بن نعمان بن عمرو بن زيد، أبو الدرداء عويمر بن زيد، معاذ بن جبل بن أوس، أبو زيد ثابت بن زيد بن نعمان، أبي بن كعب بن قيس بن ملك بن امرئ القيس، عبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت الضحاك".

5في صحيح البخاري، باب جمع القرآن، 101/6: "وقال مسروق: عن عائشة –رضي الله عنها–، عن فاطمة عليها السلام: أسر إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي". وانظر البرهان: 232/1.

1. تنزيل القرآن منجما: إن القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل نزل منجما في مدى عشرين سنة أو أكثر، فكانت تنزل بعض آيات سورة من السورة، وتنقطع بنزول آيات سورة أخرى، قبل تلك السورة أو بعدها. ولا شك ان حالة كهذه يتعذر، بل يستحيل معها جمع القرآن مباشرة عند نزوله في مصحف واحد. ولو جمع القرآن كله بين دفتي مصحف واحد، لأدى هذا إلى التغيير كل ما نزل شيء من الوحي وللزم تغييرا مستمرا في الرقاع المدون عليها. لتوضع الآية الجديدة محلها، أو أن يدون آيات سورة بآيات أخرى عند ذلك.

قال الزركشي: وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم".[1]

2. بعد ان ختم الله تعالى الوحي وأتم النعمة وأكمل الدين، لم يعش رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة مناسبة ليقوم هو بترتيب وجمع الرقاع ونحوها في مصحف منسق واحد، فإنه صلى الله عليه وسلم قبض في السنة التي نزلت فيها آخر آية من القرآن، غير أنه صلى الله عليه وسلم ما توفي إلا بعد ان أعلم العدد الغفير من الصحابة في ترتيب القرآن الكريم، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا".[2]

2- جمع القرآن وتوحيد المصاحف في عهد الحلفاء:

أ. جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –:

وردت روايات عدة، تنقل أن الخليفة أبا بكر –رضي الله عنه مارس تأليف الرقاع التي كان القرآن مدونا عليها، واستنسخ عنها مصحفا كاملا منسقا ومرتبا.

1. أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: "أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر –رضي الله عنه–: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر

1البرهان: 262/1.

2المصدر نفسه: 241/1.

بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد، قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع احد غيره: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ"[1] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بين عمر ...".[2]

ولهذا أورد ابن حجر: "ولم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبا".[3]

2. وعن أبي داود من طريق هشام عن عروة عن أبيه، أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: "اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه".[4]

قال ابن حجر: "وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة".[5]

وقال السخاوي في جمال القراء: "المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب، كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم..".[6]

1التوبة: 128.

2صحيح البخاري، باب جمع القرآن، 6/98-99، والبرهان: 1/233-234.

3فتح الباري، ابن حجر 9/13.

4الإتقان: 1/77.

5المصدر نفسه: 1/77.

6الإتقان: 1/77.

3. وعن عكرمة قال: "لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عني؟، قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدثت نفسي ان لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه، قال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت".[1]

4. وعن أبي داود في المصاحف من طريق محمد بن اسحاق بن يحي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: "أتاني الحارث بن حزيمة بهاتين الآتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد أني سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها، فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتها، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوها في آخرها".[2]

وخلاصة القول، أن أقصى ما تدل عليه هذه الروايات مجرد جمعهم ما نزلت من السور والآيات، وأما العناية بترتيب السور والآيات كما هو اليوم فلا، فقد عرفنا أن القرآن كان مكتوبا من قبل عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول طيلة مدة نزول الوحي عليه، كان يقول لأصحابه: "ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، وهذا مما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر بتدوين القرآن، ويعلم كتبة الوحي أن هذا الترتيب الذي رتبه الله عليه، ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه.

إذن جمع القرآن في مصحف واحد تم في عهد الخليفة أبي بكر –رضي الله عنه– مما ظفر هذا المصحف بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه. وهذا الجمع هو المسمى بالجمع الثاني.

ب. جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان –رضي الله عنه–:

ظل المسلمون بالرغم من جمع القرآن، وتنسيقه في مصحف واحد، يقرأونه بقراءات شتى لاختلاف ألسنتهم، فكان الإختلاف في الحركة الإعرابية مثلا مثارا للخلاف بينهم، وتشتيت كلمتهم، الأمر الذي دعا حذيفة بن اليمان "ت 36 هـ" بعد عودته من فتح بلاد أرمينية وأذربيجان، مع اهل العراق، أن يسرع إلى

1الإتقام: 77/1.

2الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، 120/12.

الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه–، ويذكره بمنع النبي صلى الله عليه وسلم من الإختلاف في القرآن، قائلا له: "أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى".[1]

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.[2]

ونستدل من خلال هذه الرواية، أن عثمان –رضي الله عنه– قد جمع القرآن في زمانه، لا بمعنى جمع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنى أنه جمع المسلمين على قراءة إمام واحد. قال الحارث بن أسد المحاسبي: "243 هـ": "والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان –رضي الله عنه– وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على قراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والانصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف اهل العراق والشام في حروف القراءات في القرآن، وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن.[3]

وبهذا يكون عثمان –رضي الله عنه– قد وحد المصاحف وذلك باختيار ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلغاء سائر القراءات. فلم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك،

1فضائل القرآن، ابن كثير، ص: 10، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، والبرهان: 236/1.

2البرهان: 236/1، والمصاحف، ابن أبي داود، ص: 18.

3البرهان: 239/1، والإتقان: 80/1.

وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته، وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد".[1]

وهذا ما يؤكده ما أخرجه ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال: "قال علي: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا، فو الله ما فعل في المصاحف إلا عن ملإ منا، قال: ما تقولون في هذه القراءة؟، فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا، قلنا: فما ترى؟ قال؟ أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا إختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت".[2]

يقول لدكتور طه حسين:

"وليس من شك في أن ما أقدم عليه عثمان من توحيد المصحف وحسم هذا الإختلاف، وحمل المسلمين على حرف واحد، أو لغة واحدة، يقرأون بها القرآن، عمل فيه كثير من الجرأة، ولكن فيه من النصح للمسلمين اكثر مما فيه من الجرأة، فلو ترك عثمان الناس يقرأون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة في ألفاظها، لكان هذا مصدر فرقة لا شك فيه، ولكان من المحقق أن هذه الفرقة حول الالفاظ ستؤدي إلى فرقة شر منها حول المعاني بعد كان الفتح، وبعد أن استعرب الأعاجم، وبعد ان أخذ الأعراب يقرأون القرآن.[3]

3- المصاحف العثمانية وعددها:

عدد المصاحف العثمانية:

بعد قيام عثمان –رضي الله عنه- بجمل الناس وتوحيدهم على قراءة واحدة للقرآن الكريم، استنسخ عدة نسخ منه، أرسل بها إلى الأمصار، ليتم التعويل عليه دون غيرها.

واختلف في عدد هذه المصاحف التي عممها عثمان –رضي الله عنه- إلى الآفاق:

1الإتقان: 80/1.

2الإتقان: 79/1.

3الفتنة الكبرى، طه حسين، 182/1، وما بعدها.

1. الشهور أنها خمسة، وأخرج ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات، قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف.[1]

2. وأخرج أبو داود عن أبي حاكم السجتاني: "أنها سبعة مصاحف، فأرسل إلى مكة، وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدا.[2]

3. وذكر ابن الجزري أنها ثمانية، قال: "فكتب منها عدة مصاحف: فوجه مصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفا، الذي يقال له الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين ...".[3]

وحينما تم إقرار مصحف الإمام، واستنسخت المصاحف في ضوئه، وسيرت إلى الآفاق –وكان ذلك سنة خمس وعشرين من الهجرة النبوية –استبشر عثمان –رضي الله عنه– بصنيعه هذا. ومن أجل ضمان توحيد القراءات بين المسلمين على الوجه المختار المتواتر، أرسل عثمان من يثق المسلمون بحفظه إقرائه مع مصحف كل اقليم بما يوافق قراءته، كان ذلك موضع إهتمام منه في أشهر الأقاليم.

فكان زيد بن ثابت مقريء المصحف المدني، وعبد الله بن السائب مقريء المصحف الملكي، المغيرة بن شهاب مقريء المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السامي مقريء المصحف الكوفي، وعامر بن عبد القيس مقريء المصحف البصري.[4]

ومن الثابت به والمتفق عليه بالتواتر عن علماء المسلمين كافة، أن المصحف العثماني هو النص القرآني الوحيد الذي عليه عمل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وأن المصاحف التي عممها عثمان – رضي الله عنه– على الآفاق– أيا كان عددها– كانت متطابقة فيما بينها، متماثلة مشتملة على القرآن كله، المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلا متواترا يضم مائة وأربع عشرة سورة.

1الإتقام: 80/1.

2المصاحف، ابن أبي داود، ص: 34.

3النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: 7/1.

4مناهل العرفان، الزرقاني، 396/1 وما بعدها.

وهذه النسخ خالية من النقط والشكل والنقوش، التي نجدها اليوم في المصاحف التي بأيدينا، فكل هذا أحيط بعناية ورعاية خاصة، حتى نقل بالتواتر القطعي جيلا بعد جيل.

ويبدو ان بعض نسخ المصحف العثماني قد كانت معروفة في القرن الثامن الهجري، فالحافظ ابن كثير (ت 774هـ) يقول: المصاحف العثمانية الآئمة فأشهرها اليوم في الشام جامع دمشق عند الركن، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله.

وقد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود (سنة 518 هـ) وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسين مبين قوي، بحبر محكم. في رق أظنه من جلو الإبل".[1]

ولقد استمر المسلمون منذ ان اختار الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم دار الكرامة على استظهار القرآن الكريم واستنساخه، فأنت تجد في كل جيل من الأجيال ألوفا من المصاحف، وألوفا من الحفاظ، فتكون ألوف المصاحف رقيبة على استظهار الحفاظ، وألوف الحفاظ رقباء على نسخ المصاحف.[2]

"وليست كهذه حال العهد القديم –التوراة– الذي لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشراح المحدثين فيما عدا واحدا من كتبه وهو كتاب "أرمياء".

وليس العهد الجديد –الإنجيل– بأسعد حال، فقد ألغى مجمع أساقفة "نيقية" كثيرا من أخباره، مما زرع الشك حول ما تبقى منه وهو "الأناجيل". وهذه الأخيرة بدورها لا تعتبر الآن من الصحاح لأن النقد أثبت أنها قد وضعت بعد المسيح بأكثر من قرن، أي بعد عصر الحواريين الذي تنسب إليهم التعاليم المسيحية وعلى هذا فإن شكوكا كثيرة تحوم الآن حول القيمة التاريخية للوثائق اليهودية".[3]

أما القرآن الكريم فقد ظل ينتقل من جيل إلى جيل بطريقة متقنة فذة فريدة، تعارف الناس عليها حتى انتشر من أقصى بلاد المسلمين في شمال غربي إفريقيا إلى أقصى البلاد الإسلامية في جنوب شرقي آسيا.

1فضائل القرآن، ابن كثير، ص: 15.

2موجز في علوم القرآن، ص: 167.

3الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص: 108-109.

ولم يتفق لكتاب من التواتر ودقة النقل، ما اتفق للقرآن الكريم، وإنما كان ذلك لأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ولا شريعة بعد الإسلام، ولوعد الله تعالى الذي صدق وعده "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" (الحجر: 09).

أسئلة للفهم

1- بين كيف كان القرآن يجمع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

2- أذكر جهود الخليفة أبوبكر الصديق في جمع القرآن

3- أذكر جهود الخليفة عثمان بن عفان في جمع القرآن

4- ماهي الفروق الأساسية بين جمع أبو بكر وعثمان للقرآن

5- ماهي دوافع عثمان بن عفان لسياسته في جمع القرآن وكيف تلقت الأمة ذلك

الدرس السابع:
المكي والمدني

1. عناية العلماء بالكي والمدني
2. معرفة المكي والمدني والتمييز بينهما
   أ. الأساس الشخصي
   ب. الأساس المكاني
   ج. الأساس الزماني
3. خصائص المكي والمدني
   أ. خصائص المكي
   ب. خصائص المدني

تولي الأمم اهتمامها البالغ بالمحافظة على ثرائها الفكري، ومقومات حضارتها، والأمة الإسلامية أحرزت قصب السبق في عنايتها بتراث الرسالة المحمدية التي شرفت بها الإنسانية جمعاء، لأنها ليست رسالة علم أو إصلاح، يحدد الإهتمام بها مدى قبول العقل واستجابة الناس إليها، وإنما هي –فوق زادها الفكري– وأسسها الإصلاحية –دين يخامر الألباب، ويمتزج بحبات القلوب– فنجد أعلام الهدى من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، يضبطون منازل القرآن آية آية ضبطا يحدد الزمان والمكان، وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع يستند إليه الباحث في معرفة أسلوب الدعوة، وألوان الخطاب، والتدرج في الأحكام والتكاليف.[1]

والدعوة إلى الله تحتاج إلى نهج خاص في أسلوبها إزاء كل فساد في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك، ولا تفرض تكاليفها إلا بعد تكوين النواة الصالحة لها، وتربية اللبنات التي تأخذ على عاتقها القيام بها، ولا تسن أسسها التشريعية ونظمها الإجتماعية إلا بعد طهارة القلب وتحديد الغاية حتى تكون الحياة على هدى من الله وبصيرة.[2]

1– عناية العلماء بالمكي والمدني:

لأهمية معرفة المكي والمدني من القرآن الكريم اعتنى بها العلماء، فكان ذلك جديرا أن يعد بحق أساس منطلقهم لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية، والتعرف على خطواتها الحكمية المتدرجة مع الأحداث والظروف، والتطلع إلى مدى تجوابها مع البيئة العربية في مكة والمدينة. وفي البادية والحضارة، والوقوف على أساليبها المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب.

وفي هذا الضوء تواضع العلماء على استعمال اصطلاح "المكي" على قسم من القرآن الكريم. و"المدني" على القسم الآخر منه، تبعا لمرحلتي الرسالة لاستمراره بالنزول فيهما، قال اليعقوبي: نزل من القرآن بمكة

1مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 51.

2المصدر نفسه: 51.

إثنتان وثمانون سورة على ما رواه محمد بن حفص بن أسد الكوفي عن محمد بن كثير، ومحمد بن السائب الكلب عن أبي صالح عن ابن عباس، ونزل بالمدينة اثنتان وثلاثون سورة".[1]

وإذا كانت الآيات نزلت في مكان ثم حملها أحد من الصحابة فور نزولها لإبلاغها في مكان آخر، ضبط العلماء هذا كذلك، فقالوا: ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة. قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء. وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في اهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، ثم ما نزل بالجحفة،[2] وما نزل ببيت المقدس، وما نزل في الطائف وما نزل بالحديبية، ثم ما نزل ليلا، وما نزل نهارا، وما نزل مشيعا، وما نزل مفردا، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة ثم ما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما نزل مجملا، وما نزل مفسران ثم ما اختلفوا فيه، فقال بعضهم: مدني، وبعضهم: مكي، فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى".[3]

2- معرفة المكي والمدني والتمييز بينهما:

أولا: معرفة المكي والمدني

اعتمد أكثر الباحثين في التمييز بين مكي القرآن ومدنيه –باديء الأمر– على الروايات والنصوص المنقولة التي تؤرخ السورة أو الآية أو تشير إلى زمن نزولها أو مكانه، وعلى الأحداث التاريخية المهمة التي

1تاريخ اليعقوبي: 2/26-35.

2الجحفة: قرية على طريق المدينة، من مكة على أربع مراحل معجم البلدان: 2/111 ن.

3البرهان: 1/192، والإتقان: 1/11.

عاصرت النزول، أو كان النزول بسببها، وهذا ما سلكه المستشرق الألماني "نولد كه" (1836م-1930م) في بحثه تاريخ القرآن.[1]

ثم عكفوا على دراسة ما عرفوا من مكي القرآن ومدنيه بالطريقة السابقة، فاستطاعوا أن يتعرفوا على خصائص شائعة غالبة في المكي، وأخرى في المدني –فتمكنوا عن طريقها من معرفة وتمييز عدد كبير من السور والآيات، وصنفوها إلى مكي ومدني، ودونوها في كتب المصاحف والتفاسير، وأصبحت هذه الكتب من مصادر معرفة المكي المدني أيضا.

وبهذا تمخض منهجان أساسيان لمعرفة المكي والمدني:

1. المنهج السماعي: الذي يعتمد على النقل، وهذا يلك بطبيعة الحال الطريقة الإستقرائية، ويستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي، وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذي تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه.

2. المنهج القياسي: الذي يعتمد على العقل، ويتبع الطريقة الإستنباطية، وهذا المنهج القياسي الإجتهادي يستند إلى خصائص المكي والمدني، من حيث أسلوب وموضوعات السور والآيات، ثم ميزوا بينها بناء على اجتهادهم.

فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني، أو تتضمن شيئا من حوادثه، قالوا: إنها مدنية وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي أو تتضمن شيئا من حوادثه قالوا: إنها مكية.

وإذا وجد في السورة خصائص المكي، قالوا: إنها مكية، وإذا وجد فيها خصائص المدني قالوا: إنها مدنية، وهذا قياس اجتهادي، ولذلك قالوا: –مثلا– كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد مدنية، وهكذا.[2]

---

1 الواقع أن المستشرق "نولدكه" كان مقتنعا في محاولة ترتيب القرآن زمنيا، ووصف كل ما يتعلق بمراحل نزول الوحي القرآني، وقد أخضع في ضوئه الحوادث الهامشية في الحروب والمغازي والمراسلات والوقائع لاستنتاجاته العلمية.

2 الإتقان: 23/1.

ولعل أرجح الطريقتين هو الجمع بين الإستقراء والإستنباط، فإنه بهذا الجمع تكون النتائج أقرب إلى العلم، وأبعد عن الظن والتخمين، إذ أن الطريقة الإستقرائية عاجزة تقريبا عن تمييز كثير من السور والآيات المكية لفقدانها الأحداث المهمة، والنصوص التي تعول عليها في التمييز. كما أن الطريقة الإستنباطية طريقة قياسية أو تخمينية: فالخصائص المستنبطة، إنما هي غالبة، وليست قطعية خاصة بالمكي والمدني. وكما أوضحنا سابقا من أن السماعي يعتمد على النقل، والقياسي يعتمد على العقل والنقل والعقل هما طريقا المعرفة السامية، والتحقيق العامي، لذا رجح لدينا الجمع بين السمع والقياس في التمييز.

ثانيا: التمييز بين المكي والمدني

حاول العلماء: اعتبار أساس فاصل في التمييز بين المكي والمدني من القرآن، فمنهم من جعل الخطاب الوارد في الآيات هو الأساس في التمييز، ومنهم من جعل من مكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأساس والرهط الثالث اعتمد هجرة الرسول أساسا.

أ. الأساس الشخصي:

قالوا: إن المكي من القرآن هو ما جاء خطابا لأهل مكة، والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة، وينبغي على هذا الرأي عند أصحابه أن ما في القرآن من قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" مكي، وما فيه من قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**"، بإعتبار أن أهل مكة لم يكونوا مسلمين، فما جاء الخطاب فيها "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" عرفنا أنه مكي، وبإعتبار أن اهل المدينة كانوا مسلمين، فجاء الخطاب "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**" فعرفنا أنه مدني.

ب. الأساس المكاني:

بإعتبار أن الوحي لم ينزل إلا على الرسول صلى الله عليه وسلم، فجعلوا مكان الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية أو السورة أساسا للتمييز. فإذا كان صلى الله عليه وسلم في مكة، وما جاورها ك "منى" و"عرفان" و"الحديبية"، فهي مكية، سواء قبل هجرته أو بعدها.

وإن كان في المدينة أو فيما جوارها كـ "أحد" و"قباء"[1] و"سلع"[2] فهي مدنية.

ج. الأساس الزماني:

ومقتضاه جعل الهجرة أساسا للتمييز، فالمكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بغير المدينة. فما نزل بعد الهجرة – ولو بمكة، أو عرفة أو غيرهما – مدني كالذي نزل عام الفتح أو بحجة الوداع، كقوله تعالى: "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**" (المائدة: 3).

مناقشة الإتجاهات الثلاثة:[3]

لا بد من بيان أن لفظ "مكي" أو "مدني" ليس لفظا شرعيا، وليس من فرائض الأمة التي حددها الإسلام، ووضع لها مفهوما ليدور النقاش والترجيح بين مذاهب العلماء على أساسه، بل هو ما تواضع عليه الباحثون، وسلكوا الإتجاهات الثلاثة السابقة للتميز بين المكي والمدني. غير أنا لا نستطيع تصويب الأساس الشخصي، لأن الخطاب حين يرد "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" لا يراد به أهل مكة ليكون خطابا لهم فحسب، وحين يرد "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**" أو "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**"، أو "**مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ**" لا يراد به أهل المدينة من المسلمين وأهل الكتاب والمنافقين فحسب، بل يبق العام على عمومه ليشمل تطبيقاته في كل زمان ومكان.[4]

هذا من جهة، ومن جهة اخرى أن أكثر سور القرآن لم تفتتح بأحد الخطابين ليكون أسلوب الخطاب أساس للتمييز، ومن جهة ثالثة أن هذا الضابط لا يطرد، فسورة البقرة مدني، وفيها: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" (البقرة: 21).

1قباء: وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، معجم البلدان: 302/4.

2سلع: موضع بقرب المدينة، معجم البلدان: 263/3.

3موجز علوم القرآن، ص: 139-140.

4المصدر نفسه، ص: 140.

وسرة النساء مدنية، وأولها: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" سورة الحج مكية، وفيها خطاب "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ..." (الحج: 77).

وإن الأساس المكاني يرد عليه أنه حتى لو أدخلنا ما نزل "بعرفات" و"منى" و"الحديبية" ضمن الآيات المكية، وما نزل بـ"بدر" و"أحد" و"سلع" ضمن الآيات المدنية، تبقى لدينا آيات لا مكية ولا مدنية بحسب الأساس المكاني، نظير الآيات التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في إسرائه.

أما الأساس الزماني الذي جعل "الهجرة" فيصلا بين المكي والمدني، فإنه يشمل الآيات والسور جميعها، إذا ما من آية أو سورة إلا ونزلت إما قبل الهجرة وإما بعدها، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، بهذا الإعتبار.

ومن خلال هذه السورة يلاحظ أن الأساس "الزماني" يوضح بجلاء مراحل دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم تكن الهجرة النبوية حدثا عابرا في حياة الرسالة الغراء، والدعوة المباركة، بل هي حد فيصل بين مرحلتين من حياتها:

الأولى: مرحلة التغيير العقائدي ومقاومة الشرك والوثنية وتكوين القاعدة الملتزمة من المؤمنين، والتصاقها بالقيادة النبوية.

الثانية: مرحلة الحكم والقضاء والإدارة ضمن دولة ذات سيادة وسلطان.

ومن خلال معرفة المكي والمدني نستطيع مواكبة تطور سير الدعوة وإدراك الأصول العامة لنظرية التغير الإجتماعي على أساس الفكر الإسلامي طبقا لعمل الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة وبحسب ما نزل من مكي القرآن ومدنيه.

3- خصائص المكي والمدني:

لقد حاول كثير من العلماء أن يجمعوا السمات البارزة في كل من المكي والمدني، ويمكن إيجاز الخصائص الأسلوبية والموضوعية الشائعة في المكي، والأخرى الشائعة في القسم المدني.

أ. خصائص الآيات المكية:

1. الدعوة إلى أصول العقيدة، كالإيمان بالله واليوم الآخر، وتصوير مشاهد الحساب وأهل الجنة والنار.
2. قصر الآيات والسور – بصورة عامة.
3. الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، وفعل الخير.
4. مجادلة المشركين، وإبطال عقائدهم، وتسفيه أحلامهم.
5. كثرة القسم بالله واليوم الآخر والبعث والقرآن، وغير ذلك.[1]
6. ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الإنتصار عليهم.
7. كثرة استعمال "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**"، وندرة إستعمال "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**".

ب. خصائص الآيات المدنية:

1. طول السور أو الآيات، في أسلوب يقرر الشريعة، ويوضح أهدافها ومراميها.
2. مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام وإلى بذ الغلو في دينهم.[2]
3. التحدث عن المنافقين وكشف مواقفهم ووعيدهم.
4. كثرة ذكر الجهاد، والإذن به، وبتفصيل أحكامه.
5. تفصيل أحكام الحدود والفرائض والحقوق، والأنصبة الإرثية، والقوانين السياسية والإقتصادية والمعاهدات والمواثيق الدولية.
6. تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.

إن هذه الخصائص في حالة إنطباقها على عموم سورة من السور، فلا يعني ذلك أن كل آياتها مكية أو مدنية، إذ قد تستثنى من السورة المدنية آيات مكية، فسورة التوبة مدنية، بينما الآيتيان الأخيرتان

1 ورد القسم في المكي ما يقرب من ثلاثين مرة، وفي المدني مرة واحدة، "بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ" (التغابن: 7).

2 كما ورد في سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والتوبة.

مكيتان، وذكر الموارديِ، :"أن البقرة مدنية في قول الجميع، إلا آية، وهي: "**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**" (البقرة: 281)، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى".[1]

ومن السورة الملكية آيات مدنية، فسورة الزمر مكية، بينما آياتها: "**كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ..." (الزمر: 25)، و"**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**" (الزمر: 53)، و"**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ..." (الزمر: 54)، مدنية. وكذا الحال بالنسبة إلى بعض السور والآيات المدنية، ولكن تنطبق عليها بعض الخصائص الأسلوبية الشائعة في القسم المكي، ففي سورة البقرة. وهي مدنية جاء قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**" (الآية: 21).

وأما ما خصه بعض العلماء من امتياز السور والآيات المكية بالقصر والإيجاز، والقسم المدني بالطول والإسهاب. لا يعني أن جميع المكي على هذا النحو، وجميع المدني بهذه السمة، ومثال ذلك سورة "النصر" وهي ثلاث آيات، و"الزنزانة" ثمان آيات. و"البينة" ثمان آيات. وهي سورة مدنية، في حين "الأنعام" و"الأعراف" مكية إلا بعض آياتها وهما من السور الطوال.

أسئلة للفهم

1- عرف علم المكي والمدني

2- ما هي المعايير التي اعتمدها العلماء في التمييز بين القرآن المكي والقرآن المدني

3- بين خصائص القرآن المكي مع التمثيل

4- بين خصائص القرآن المدني مع التمثيل

5- أذكر أمثلة عن آيات نزلت خارج مكة والمدينة

1البرهان: 187/1.

الدرس الثامن:
شكل المصحف وإعجامه

1. معنى الشكل والأعجام
2. تاريخ شكل المصحف
3. الآراء في شكل المصحف وإعجامه

1- معنى الشكل والأعجام:

الشكل:

يصطلح على الرموز الكتابية التي تضبط حركات الأحرف، أو تدل على إعراب الكلمة بـ"الشكل" وهي العلامات التي تدل على الفتح والكسر والضم والسكون والتنوين.

وقد بدأ الشكل اول مرة بوضع "نقطة" مدورة فوق أول الحرف للدلالة على الفتح، ونقطة تحت آخره للدلالة على الكسر، وقطة على آخره للدلالة على الضم، ونقطتين على علامة السكون.

ثم تطورت هذه العلامات فصارت –كما هو معروف الآن- الفتحة مائلا فوق الحرف، والكسرة خطا مائلا تحته، والضم واوا صغيرا فوقه، والسكون دائرة صغيرة فوقه، والتنوين علامتين من هذه العلامات.[1]

الإعجام:

الإعجام لغة الإختبار والتمييز، يقال: عجمت العود ووجدته هشا، أي فحصت قوته واختبرتها، والإعجام في الكتابة يعني تمييز الحروف المتشابهة في الرسم، كالباء والتاء والثاء وكالحاء والخاء والجيم، وكالسين والشين ونحوها.[2]

ويتم تمييز هذه الحروف بوضع نقطة أو أكثر فوق الحرف أو تحته للتفريق بينها، فالباء المعجمة ما كان تحتها نقطة، والشاء ما كنت فوقها ثلاث نقاط، وسمي هذا النقط "نقط الإعجام".

وعلى ضوء هذا البيان يتضح أن شكل المصحف يعني العلامات الكتابية التي عينت حركة حروف كلماته، وأن إعجام المصحف يعني تمييز حروفه المتشابهة في الرسم عن بعضها البعض الآخر بالنقط.[3]

2- تاريخ شكل المصحف وإعجامه:

لم يكن تشكيل الحروف والكلمات كذلك معروفا عند العرب أول عهدهم. فقد كانوا حديثي العهد بالكتابة والخط، وتلقوا معرفة الخط عن طريق الإتصال بين أفرادهم وأهل العراق أو الشام، الأمر الذي

1موجز في علوم القرآن، ص: 185.

2مفردات غريب القرآن "مادة عجم".

3موجز في علوم القرآن، ص: 185.

أدى إلى تعلمه في الحجاز، وكان الخط الشائع هو السرياني وهو خال من النقط، ثم تطور إلى الخط الكوفي المعروف فيما بعد.

وكانت الصحف التي كتبت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والمصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار خالية عن الشكل والنقط، وكان العرب إذ يهتدون إلى النطق السليم بوسيلتين:

الأولى: ان السليقة العربية الأصيلة التي كانوا يتمتعون بها، والأصالة اللغوية التي فطروا عليها تمنعان تسرب اللحن إلى ألسنتهم.

الثانية: ان أسلوب التلقي والمشافهة الذي كان الناس يعتمدون عليه في ضبط القرآن وحفظه، ساعدهم على القراءة من المصاحف بكل سهولة ويسر، هذا التلقي كان يزيد من وضوح الكتابة، ويزيل ما قد يتصور من لبس في نطق بعض الكلمات، ولا سيما التي تحتمل عددا من وجوه الأداء والقراءة بسبب عدم توافر النقط فيها.

ولما دخل في الإسلام من غير العرب، وانحرفوا باللغة من إعرابها الصحيح، رأى المسلمون –حفاظا على لغة التنزيل من اللحن– ان يصان القرآن بالضبط، فقد أجمعت رواية الثقاة على أن أبا الأسود الدولي أول من وضع النحو بإشارة من الإمام علي –رضي الله عنه– وأن سبب وضعه النحو هو ما رآه، أو قيل له من شيوع اللحن في قراءة القرآن، و"أن وضعه للنحو كان مصحوبا بتنقيط المصحف".[1]

ويقول أبو الطيب اللغوي "ت 351 هـ": "كان أول من رسم النحو أبو الأسود الدولي، أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب، وكان أعلم الناس بكلام العرب، وأبو الأسود أول من نقط المصحف، واختلف الناس إليه يتعلمون العربية، وفرع لهم ما كان أصله".[2]

وقد اشتهر أيضا أن أبا الأسود الدولي أفزعته حادثة، فسبق إلى وضع علامات حتى يعرف الناس بها كلام الله تعالى، فقد سمع قارئا يقرا قول الله تعالى: "**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**" (التوبة: 3) "بكسر لام رسوله" فقال أبو الأسود عز وجه الله ان يبرأ من رسوله، فاجتهد لمنع الجهال من اللحن في

1من روائع القرآن، البوطي، ص: 52، وفيات الأعيان: 240/1، النحو العربي، مازن المبارك، ص: 10-29.

2مراتب النحويين، ص: 6-10.

كتاب الله، فأوتي بكاتب من عبد القيس فلم رضه، فأوتي ببخر، فقال له أبو الأسود: "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فإنقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وان كسرت شفتي فاجعل نقطة من تحت الحرف، فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين، وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى اتى على آخره بينما كان الكتاب يضع النقط بصبغ يخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الآيات".[1] وسمي هذا العمل رسم العربية.

وقيل: إن تلاميذ أبي الأسود الدولي، وهم: نصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحي بن يعمر، فهؤلاء "نقطوا المصحف وأخذ عنهم النقط وحفظ وضبط وقيد وعمل به واتبع فيه سنتهم واقتدي فيه بمذاهبهم.[2]

وعلى أية حال فقد استمر الخط القرآني، وتشكله هذه الدوائر التي دونت بلون يغابر الخط خشية ان تختلط بالحروف القرآنية وتعجم بعض حروفه نقط، حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي "ت 175 هـ"، حيث أكمل شكل الخط العربي، واستبدل النقط المدورة بعلامات هي: الفتحة والكسرة والضمة والسكون، ثم أعقبه سهل بن محمد المعروف بأبي حاتم السجستاني "ت 248هـ" فألف كتابا في نقط القرآن وشكه.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري بلغ رسم الخط ذروته في الإتقان والجودة والحسن، واتسع على اثره نشاط استنساخ القرآن الكريم، وانتشر وشاع هذا الشكل الجديد من الخط والنقط والشكل، حتى عم وألفناه في المصاحف التي بأيدينا.

3- الآراء في شكل المصحف وإعجامه:

تشدد بعض العلماء تشددا كبيرا في وجوب المحافظة على رسم المصحف بالنقط المدورة، فأفتوا بتحريم الخروج عنه، أو تطويره، أو تجويزه، ومن هذه الآراء:

1المحكم في نقط المصحف، ص: 3، أنباه الرواة: 5/1، وأخبار النحويين البصريين، ص: 16.

2المحكم في نقط المصحف، ص: 6.

1. فالصاحبي عبد الله بن مسعود – كما جاء ذلك عن أبي عبد وغيره انه قال: "جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء".[1]

2. قال النووي: "نقط المصحف وشكله متحب، لأنه صيانة له من اللحن والتحريف".[2]

3. وقال بان مجاهد: "ينبغي أن لا يشك إلا ما يشكل".[3]

وقال الداني: "لا أستجير النقط بالسود لما فيه من التغيير لصورة الرسم".[4]

وقال مالك: "لا بأس بالنقط في المصاحف التي تتعلم فيها العلماء، أما الأمهات فلا".[5]

إن هذه المواقف المتفاوتة إزاء العلامات التي تضبط حركة الحروف في المصحف فيها قدر جامع متيقن، هو الحرص على سلامة القرآن الكريم والحفاظ عليه من الزيادة والنقصان، واللحن والتحريف. وقد اختلف الوسائل واتفقت الاهداف واتحدت الغايات.[6]

فمن أجاز شكل المصحف أدرك أن هذا العمل من أسباب الحفاظ عليه من اللحن والتورط في تغيير الإعراب أو النطق بالكلمة. الأمر الذي لم يصب أمما إلى العرب ليست لديها المنعة الذاتية والقدرة على تجنب الخطأ واللحن في القرآن فحسب، بل أن اختلاط تلك الأمم بالعرب أنفسهم، أفقهم تلك الأصالة في النطق الصائب، والقراءة القويمة، والإعراب الصحيح، مما دفع الغيورين على سلامة القرآن، أن يجيزوا شكل المصحف.[7]

1الإتقان: 219/2.

2الإتقان: 219/2.

3المصدر نفسه: 219/2.

4الإتقان: 219/2.

5كتاب المصاحف، ص: 143.

6موجز في علوم القرآن، ص: 189.

7كتاب المصاحف، ص: 141 وما بعدها.

ومن توقف أو كره النقط أدرك أن تجويز النقط والشكل في المصاحف قد يؤدي إلى عدم التمييز بين الأحرف القرآنية وغير القرآنية، مما قد يفضي إلى التحريف وعدم التمييز الناس بينها، فطلبوا تجريد المصحف مما ليس بقرآن كالنقط والتعشير وغيرها.

وحين زالت المخاوف من اختلاط الشكل والإعجام بالحروف القرآنية، بزوال مبرراتها، لم يبق للمعارضة وجود يذكر. قال أبو عمرو الداني: "ثم أطبق المسلمون في ذلك في سائر الأفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها، فلقد تنوعت لهجات ولغات هيئة المقروء فشاعت المصاحف الشريفة في ربوع العالم الإسلامي وهي مشكلة معجمة محفوظة من كل تحوير أو تزوير.[1]

أسئلة للفهم

1- ما مفهوم شكل القرآن واعجامه

2- ماهي المراحل التي مر بها شكل المصحف الشريف

3- أذكر أراء العلماء في شكل المصحف واعجامه

1موجز في علوم القرآن، ص: 190.

الدرس التاسع:
القراءات والقراء

1. القراءات القرآنية تعريفها وأقسامها
2. الأحرف السبعة والقراءات السبع
3. رواة القراء السبعة وضوابط القراءة الصحيحة

1- القراءات القرآنية تعريفها وأقسامها:

اهتم المسلمون بالقراءات القرآنية إهتماما كبيرا، وقد أولاها العلماء عناية فائقة، فألفوا الكتب الكثيرة بها، ودرسوا الروايات التي جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصنفوها إلى متواترة ومشهورة، وشاذة وموضوعة، وعنوا بترجمة القراء، وبينوا أنهم على طبقات: فمنهم من ينقل المتواتر، ومنهم من ينقل المشهور، ومنهم من ينقل الشواذ الذي لا يعتد به.

وقد مرت القراءات القرآنية بأدوار مختلفة، قطعتها ضمن مراحل شتى، حتى استقرت علما من علوم القرآن الكريم، ومجالا من مجال الدراسات النحوية، واللغوية بشكل عام.

وتمثلت تلكم الأدوار التاريخية للقراءات في نشوئها تعليما لتلاوة أي القرآن الكريم وسوره، فكان القرآن يقرأ للتعلم، ثم تطورت إلى تلاوة الآية وسوره، فكان يقرأ لأجل التلاوة وتوخيا للثويا، ثم إلى حفظ القرآن كله أو بعضه عن ظهر قلب، ومن بعد إلى رواية تسند القراءة إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فمجال تخصص تجرد له أساتذة وتلامذة، ومنه إلى علم ذي قواعد وأصول ومؤلفات وأبحاث.

تعريف القراءات:

عرف الزركشي القراءات بقوله: القراءات "اختلاف ألفاظ الوحي –المذكور– في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها".[1]

ويقول: ابن الجزري: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله".[2]

ويعرفه الدمياطي البنا بقوله: "علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع".[3]

1البرهان: 318/1.

2منجد المقرئين: 3، وانظر القراءات. د. عبد الهادي الفضلي، ص: 55.

3اتحاف فضلاء البشر، ص: 5.

وفي ضوء هذه التعريفات نخلص إلى أن القراءة: هي النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي صل الله عليه وسلم، كما نطقت أمامه صلى الله عليه وسلم فأقرها، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم –للقرآن فعلا واحدا أم متعددا أو تقريرا.

أقسام القراءات:

قسم بعض العلماء القراءات إلى خمسة أنواع:

1) المتواترة: وهي ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه. ويعرفها إبن الجزري بقوله: "كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا، وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة، المقطوع بها"،[1] وهذا هو الغالب في القراءات، واختص بها سبعة من القراء، فأطلقوا على هذه القراءات بـ "القراءات السبع".

مثال ما في قوله تعالى: "**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**" (النساء: 1)، بخفض الميم عطفا على الضمير المجرور "به" على مذهب الكوفيين.[2]

وقوله تعالى: "**قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ**" (الأنعام: 137).

"قتل" برفع اللام على النيابة عن الفاعل، و"أولادهم" بالنصب على المفعول بالمصدر، و"شركائهم" بالخفض على إضافة المصدر إليه فاعلا.[3]

والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة.[4]

1منجد المقرئين: 15.

2إتحاف فضلاء البشر: 185، والبرهان: 18/1.

3إتحاف فضلاء البشر: 217.

4البرهان: 319/1.

2) المشهورة:

ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط، ولم تبلغ درجة التواتر، ووافق العربية ورسم المصحف، واشتهر عند القراء، فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، واختص بها ثلاثة من القراء، وضموا هؤلاء إلى السبعة الأولى فأطلقوا على هذه القراءة "القراءات العشر".

مثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواه عنهم دون بعض، ومن أشهر ما صنف في هذين النوعين: التيسير للداني، والشاطبية، وطبية النشر في القراءات العشر.

3) الآحاد:

وهو ما صح سنده، وخالف رسم المصحف، أو أصول العربية، وهذا لا يجوز قبوله برغم صحة سنده، ومن أمثلته: عما روي عن أبي بكرة "أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ "**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْارَفٍ خُضْرٍ وَعَبْاقَرِيٍّ حِسَانٍ**"[1] (الرحمن: 76).

4) الشاذة: وهو ما لم يصح سنده، ومخالف لرسم العربية، ويجي إهماله. مثل قراءة ابن المسيفع "**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ** ..." (يونس: 92)، بالحاء المهملة.[2]

5) الموضوعة: وهو مانسب إلى قائله من غير أصل، فهو من الزيف، ويرفض الأخذ به. مثاله: القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي،[3] ونسبها إلى أبي حنيفة. مثال قراءة: "**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**" (فاطر: 28) برفع اسم الجلالة ونصب العلماء.

2- الأحرف السبعة والقراءات السبع:

القراءات السبع: هي قراءة الحرف القرآني على سبعة وجوه، كل وجه يختلف بإعرابه عن الوجه الآخر، وقد اختصت هذه القراءات بسبعة من القراء. لذا اطلق عليها "القراءات السبع" لانتسابها لهؤلاء

1وقراءة حفص "مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ". أنظر المباحث في علوم القرآن. د. صبحي الصالح، ص: 257.

2مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص: 257.

3هو أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، مؤلف المنتهى (ت 408هـ) أنظر النشر 34/1.

السبعة، وقد ذكرهم أبو بكر بن مجاهد[1] وخصهم بالذكر لما اشتهروا به عنده من الضبط والامانة وطول العمر في ملازمة القراءة واتفاق الأراء على الأخذ عنهم.

والسبب في إجماع العلماء على هذه القراءات السبع هو كثرة أهل الأهواء وأصحاب البدع الذين يقرأون مما لا تحل تلاوته، تاركين مصحف الإمام.[2]

ولهذا تجرد قوم كما يقول صاحب "اتحاف فضلاء البشر": "للإعتناء" بشأن القرآن العظيم فاختاروا في كل مصر –وجه إليها المصحف– أئمة مشهورين بالثقة، والأمانة في النقل، وحسن الدراية، وكمال العلم، أفنوا عمرهم في القراء والإقراء، وأشتهر أمرهم، وأجمع اهل العصر على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم".[3]

ومن هؤلاء الأئمة القراء السبعة الذين أخذت عنهم القراءات السبع، "وقراءات هؤلاء هي السبع المتفق عليها إجماعا، ولكل منهم سند في روايته، وطريق في الرواية عنه، وكل ذلك محفوظ مثبت في كتب هذا العلم".[4]

وقد يظن بعض العوام ان المراد بالأحرف السبعة هو القراءات السبع، فيتمسك لإثبات كونها من القرآن بالروايات التي دلت على ان القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا بد لنا أن ننبه هذا الغلط، وقد أشار إلى ذلك ابن الجزري، فقال: "لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظن بعض، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا".[5]

وقال طاهر الجزائري[6] في هذا الموضوع: "لم تكن القراءات السبع مميزة عن غيرها، حتى قام الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد –وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد –فجمع قراءات سبعة من

1السبعة في القراءات لابن مجاهد.

2مصحف عثمان.

3إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص: 6.

4إعجاز القرآن، للرافعي، ص: 51.

5النشر في القراءات العشر: 24/1.

6هو المعتصم بالله: طاهر بن صالح بن احمد الجزائري. له كتاب التبيان.

مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام، وهم: نافع، وعبد الله بن كثير، وأبو عمر بن العلاء، وعبد الله بن عامر، وعاصم، وحمزة، وعلي الكسائي.

وقد توهم بعض الناس أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة وليس الأمر كذلك ... وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة، لما فيه من الإبهام ... قال أحمد بن عمار المهدوي: "لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له. وأشكل الامر على العامة بإبهامه كل من قل نظره، أن هذه القراءات المذكورة في الخبر، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيد الشبهة...".[1]

وقال القرطبي:

"قال كثير من علمائنا، كالداودي، وابن أبي سفرة. وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره، وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء".[2]

وتعرض ابن الجزري لإبطال توهم من زعم أن الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن مستمرة إلى اليوم. فقال: "وأنت ترى ما في هذا القول، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر، بالنسبة إلى ما كان مشهورا في العصور الأولى، قل من كثر، ونزر من بحر، فإن من له إطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة، وغيرهم كانوا أمما لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر وهلم جرا.

فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق، وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب: أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم – فيما أحسب- خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة 224 هـ، وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل انطاكيا، جمع كتابا في القراءات

1التبيان، للجزائري، ص: 82.

2تفسير القرطبي: 46/1.

الخمسة من كل مصر واحد، وتوفي سنة 258 هـ، وكان بعده القاضي إسماعيل بن اسحاق المالكي صاحب قالون، ألف كتاب في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما، منهم هؤلاء السبعة، توفي سنة 282 هـ، وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتابا سماه "الجامع" فيه نيف عشرون قراءة، وتوفي سنة 310 هـ، وكان بعيده أبو بكر محمد بن احمد بن عمر الداجوني، جمع كتابا في القراءات، وأدخل معهم أبا جعفر احد العشرة، وتوفي سنة 324 هـ، وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، اول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، وروى فيه عن هذا الداجوني، وعن ابن جرير أيضا، وتوفي سنة 324 هـ".[1]

3- رواة القراء السبعة وضوابط القراءة الصحيحة:

الرواة المباشرين الذين تلقوا القراءات عن القراء السبعة مباشرة:

1. روايا ابن عامر:

أ. **ابن أبان:** هو أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن ابان السلمي الدمشقي، قاضيها وخطيبها، كان فصيحا واسع الرواية، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين.[2]

ب. **ابن ذكوان:** هو أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، والقرشي، كان إمام الجامع الأموي، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي سنة إثنتين وأربعين ومائتين.[3]

2. روايا قراءة إبن كثير:

أ. **البزي:** هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المكي، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة، ولد سنة سبعين ومائة، وتوفي سنة خمس ومائتين بمكة.[4]

1النشر: في القراءات العشر: 1/33-37.

2لطائف الإشارات: 1/102.

3لطائف الإشارات: 1/102.

4المصدر نفسه: 1/100.

ب. **قنبل**: هو أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي، الملقب بقنبل، والقنبل: الغليظ الشديد، أو نسبة لبيت بمكة، يعرفون بالقنابلة. انتهت إليه مشيخه الإقراء بالحجاز، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين.[1]

3. روايا قراءة عاصم:

أ. **أبو بكر**: هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الأسدي، وكان عالما عاملا، ختم ثمانية عشرة ألف ختمة، أو أربعة وعشرين ألف في زاوية. ولد سنة خمس وتسعين، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة.[2]

ب. **حفص**: هو أبو عمر أو داود حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز، ربيب عاصم الغاضري الأسدي، كان ثقة. ولد سنة تسعين أو إحدى وتسعين، وتوفي سنة ثمانين ومائة.[3]

4. روايا قراءة أبي عمرو:

أ. **الدوري**: هو أبو عمر حفص بن عمر بن صهبان النحوي الضرير الدوري، نسبة لموضع بقرب بغداد. ولد به أيام المنصور سنة خمسين ومائة، كان إمام عصره في القراءة، وهو أول من جمع القراءات، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين.[4]

ب. **السوسي**: هو أبو شعيب صالح بن زياد السوسي، نسبة لموضع بالأهواز، وكان ضابطا محررا، ثقة، وتوفي سنة إحدى وستين ومائتين بالرقة.[5]

1لطائف الإشارات: 101/1.

2لطائف الإشارات: 103/1.

3المصدر نفسه: 103/1.

4أيضا: 103/1.

5لطائف الإشارات: 101/1.

5. روايا حمزة:

أ. **خلف**: هو الإمام أبو محمد خلف بن هشام البزاز، بالزاي ثم الراء، ولد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد.[1]

ب. أبو عيسى خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي، وهو أضبط أصحاب سليم كما قال الداني، وكان محققا مجودا إمام في القراءة، وتوفي سنة عشرين ومائتين بالكوفة.[2]

6. روايا قراءة نافع:

أ. **قالون**: هو أبو موسى عيسى قالون بن مينا المدني النحوي الزرقي مولى الزهريين، وكان أصم يلقم أذنه فم القارئ. وقيل: أنه كان لا يسمع البوق، وإذا قرئ عليه القرآن يسمعه، واختص بنافع كثيرا، حتى قيل: إنه ربيبه، وهو الذي لقبه بقالون لجودة قراءته. ولد سنة عشرين ومائة، وتوفي سنة خمس ومائتين.[3]

ب. **ورش**: هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المشهور بالمصري القبطي الملقب بورش، لقبه بن نافع لشدة بياضه، وقيل: لحسن قراءته.

رحل إلى المدينة فقرا على نافع أربع ختمات في شهر واحد سنة خمس وخمسين ومائة، ورجع إلى مصر فانفرد برياسة الإقراء مع براعته في العربية والتجويد مع حسن الصوت وجودة القراءة. ولد بمصر سنة إحدى عشرة ومائة، وتوفي سنة سبع وتسعين ومائة.[4]

7. روايا قراءة الكسائي:

أ. **الليث**: هو أبو الحارث الليث بن خالد المروزي، وكان من أجل أصحاب الكسائي، وتوفي سنة أربعين ومائتين.[1]

1لطائف الإشارات: 103/1.

2لطائف الإشارات: 103/1.

3المصدر نفسه: 100/1.

4لطائف الإشارات: 100/1-101.

ب. **الدوري أبو عمر**. السابق تعريفه.

القراءات الثلاث المكملة للعشر:

هناك قراءات ثلاث زيادة على هذه السبع، وهي التي تسمى بالقراءات المشهورة، وهو ما صح سنده، ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربية ورسم المصحف، وقد اشتهر بين القراء فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ، واختص بها ثلاثة من القراء، وهم:

1. أبو جعفر: يزيد بن القعقاع المخزومي، إمام المدينة، تابعي، وقد أخذ أبو جعفر قراءته عن عبد الله بن عباس وغيره وتوفي سنة ثلاثين ومائة على الأصح. وكان له راويان، هما: ابن جمار.[2]

2. يعقوب: هو أبو محمد يعقوب بن اسحاق بن زيد الخضرمي البصري، قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل عن عاصم، وأبي عمرو بن العلاء، وكان إماما كبيرا. وانتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبي عمرو، ولد سنة مائة وسبع عشرة، وتوفي سنة خمس ومائتين، وله راويان: روح، ورويس.[3]

3. خلف: هو الإمام أبو محمد خلف بن هشام البزار، بالزاي ثم الراء، الصلحي، نسبة إلى "فم الصلح" باعمال واسط، وقراءته في اختياره لم تخرج عن قراءة الكوفيين إلا في حرف واحد، وهو قوله تعالى: "**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ**" (الأنبياء: 95).

قرأها بالألف.[4] ولد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد،[5] وقد اطلقوا على هذه القراءات بـ "القراءات العشر".

القراءات الشاذة الأربعة:

1لطائف الإشارات: 103/1.

2إتحاف فضلاء البشر، ص: 5، ولطائف الإشارات: 97/1.

3غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: 272/1.

4وهو بهذه القراءة مخالف للكوفيين الذين يقرأون "وحِرْم" بكسر الحاء وسكون الراء.

5لطائف الإشارات: 98/1.

أشرنا فيما سبق إلى تعريف الشاذ الذي هو: ما لم يصح سنده، وهذه القراءات لا يعتد بها ولا يقرأ بها المسلمون، ولا تكتب في المصحف الشريف. يقول الباقلاني: "وقد أجمع المسلمون على ان هذه القراءات لا يجوز رسمها بين الدفتين ولا يقرأ بها كتاب الله تعالى".[1]

وقد منع العلماء من القراءة بها، "والمنع منع تحريم لا كراهة".[2]

فالإتفاق حاصل على قراءة الأربعة بالشذوذ، بل اجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم، على ان الشاذ ليس بالقرآن، لعدم صدق الحد عليه، وعلى تحريم القراءة به.[3]

تراجم موجزة للقراءة الأربعة:

لقد اختص بهذه القراءات أربعة من القراء، وهم:[4]

1. الحسن البصري بن يسار، قاريء البصرة "ت 110 هـ".
2. ابن محيض: محمد بن عبد الرحمن، قارىء مكة مع ابن كثير "ت 123 هـ".
3. الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي، قارئ الكوفة "ت 148 هـ".
4. اليزيدي: يحي بن المبارك، قارئ البصرة "ت 202هـ".

ضوابط القراءة الصحيحة:

وضع العلماء ضوابط ثلاثة للقراءة القرآنية الصحيحة التي لا يحل إنكارها، ولا يجوز نعتها بالشذوذ أو الضعف، وهم بهذه الضوابط قد صانوا القراءات من كل تحريف.

والسبب الذي دعاهم إلى هذه الضوابط كما يقول ابن الجزري، هو أن القراء: "كثروا، وتفرقوا في البلاد، وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة،

1الإنتصار لنقل القرآن، الباقلاني، ص: 102.

2النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: 38/1.

3اتحاف فضلاء البشر، للدمياطي، ص: 3.

4غاية النهاية في طبقات القراء: 288/1. واتحاف فضلاء البشر: 4.

والمشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الإختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق..."[1]

ومن ثم وضع الأئمة لذلك ميزانا يرفع إليه، ومعيارا يعول عليه، وهو "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين".[2]

"ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة اطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم".[3]

ونخلص من كلام ابن الجزري إلى أركان القراءة الصحيحة هي:

1. موافقة العربية ولو بوجه.
2. موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
3. صحة سند القراءة.

فبالنسبة لموافقة القراءة للعربية بوجه من الوجوه. نلاحظ أن هذا الضابط كان مأخوذا في الإعتبار منذ القرن الأول الهجري بل كان السبب الجوهري في نشأة النحو العربي.

وأما موافقة القراءة أحد المصاحف العثمانية، فلأن الصحابة في كتابة المصاحف العثمانية اجتهدوا في الرسم على حسب ما عرفوا من لغات القراءة، فكتبوا "الصراط" مثلا في قوله تعالى: "**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**" (الفاتحة: 6) بالصاد "المبدلة بالسين" وعدلوا عن السين التي هي الأصل، لتكون قراءة السن "السراط" وإن خالفت الرسم من وجه، فقد أتت على الأصل اللغوي المعروف، فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة لذلك.

1النشر في القراءات العشر: 9/1.

2المصدر نفسه: 9/1.

3النشر 9/1.

والمراد بالموافقة الإحتمالية ما يكون من نحو هذا، كقراءة: "**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**" (الفاتحة: 4)، فإن لفظة "مالك" كتبت في جميع المصاحف بحذف الألف، فتقرأ "مَلِك" وهي توافق الرسم تحقيقا، وتقرأ "مالك" وهي توافقه احتمالا.[1]

وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقا، نحو: "**وَيَغْفِرْ لَكُمْ**" (آل عمران: 31)، "**وَيَعْمَلُونَ**" (البقرة: 96)، و"**هَيْتَ لَكَ**" (يوسف: 21) ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل وحذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة –رضي الله عنهم– في علم الهجاء خاصة.[2]

وأما أن تكون القراءة مع ذلك صحيحة الإسناد، فلأن هذه القراءة يعتمد فيها على سلامة النقل وصحة الرواية، وكثيرا ما ينكر أهل العربية قراءة من القراءات لخروجها عن القياس، أو لضعفها في اللغة، ولا يحفل أئمة القراء بإنكارهم شيئا.

تلك هي أركان القراءة الصحيحة، فإن اجتمعت الأركان الثلاثة.

1. موافقة العربية 2. ورسم المصحف، 3. وصحة السند، فهي القراءة الصحيحة، ومتى اختل ركن منها أو أكثر اطلق عليها أنها: ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة.

أسئلة للفهم

أذكر تعريفا دقيقا للقرآت القرآنية وبين أقسامها

1-ما هو مفهوم الأحرف السبعة وما علاقتها بالقراءات السبع

2-ما هي ضوابط القراءات الصحيحة

3-هل القراءات السبع هي الأحرف السبع

1النشر في القراءات العشر: 11/1، ومناهل العرفان: 419/1.

2النشر في القراءات العشر: 11/1-12.

الدرس العاشر:
إعجاز القرآن

1. إعجاز القرآن مفهومه والحاجة إليه
2. التحدي في القرآن ووجوه الإعجاز
3. الإعجاز اللغوي

1- إعجاز القرآن مفهومه والحاجة إليه:

الإعجاز لغة:

الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان إذا فاتني، وعجز عن الأمر يعجز، وعجز عجزا، ويقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا، وفي الحديث: "كل شيء يقدر حتى العجز"،[1] وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.[2]

الإعجاز اصطلاحا:

"هو أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أو هو أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه".[3]

وإنما يكون المعجز شاهدا على صدق ذلك المدعي إذا امكن أن يكون صادقا من تلك الدعوى، وما اذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل، أو بحكم النقل الثابت عن نبي، فلا يكون ذلك شاهدا على الصدق، ولا يسمى معجزا في الإصطلاح، وإن عجز البشر عن أمثاله.[4]

فمثلا، إذا أدعى أحد النبوة بعد نبي الإسلام، فإن هذه الدعوى كاذبة قطعا بحكم النقل المقطوع بثبوته الوارد عن نبي الإسلام، بأن نبوته خاتمة النبوات، وإذا كانت الدعوى باطلة قطعا، فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدعي؟

وقال القرطبي: "المعجزة واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت بمعجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة، فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة:

1. أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله.
2. أن تخرق العادة.

1اللسان: 7/236-237 "عجز".

2أساس البلاغة: 2/100 "عجز".

3مناهل العرفان في علوم القرآن: 1/73.

4البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص: 33.

3. أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل.

4. ان تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجز له.

5. ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة، ولهذا قال تعالى: "**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**".[1]

وقد يدعي أحد منصبا إلهيا، ثم يأتي بشيء يعجز عنه غيره من البشر، ويكون ذلك شاهدا على كذب ذلك المدعي، كما يروى أن "مسيلمة" تفل في بئر قليلة الماء ليكثر ماؤها فغار جميع ما فيها من الماء، وانه أمر يده على رؤوس صبيان بني حنيفة وحنكهم فأصاب القرع كل صبي مسح رأسه، ولثغ كل صبي حنكه.[2] فإذا أتى المدعي بمثل هذا الشاهد لا يجب على الله أن يبطله، فإن في هذا كفاية لإبطال دعواه، ولا يسمى ذلك معجزا في الإصطلاح.

"والدليل على إثبات نبوة نبينا ما ظهر على يده من الآيات الباهرة، والمعجزات الظاهرة، والحجج النيرة، الخارقة للعادة، والخارجة عما عليه العادة، وتركيب الطبيعة، والله سبحانه لا يظهر المعجزات ولا ينقض العادات إلا للدلالة على صدق صاحبها، وكشف قناعه، وإيجاب الإقرار بنبوته والخضوع لطاعته والإنقياد لأوامره ونواهيه.[3]

الحاجة إلى المعجزة:

التلازم بين حاجة النبي إلى المعجزة، وحاجة الناس إليها واضح وبين، فليس بمقدور النبيأن يؤدي دوره بدونها، وليس غير منقادين إلى ما جاء به النبي ما لم يتحقق فيهم العجز عن مجاراته فيما جاء به.

1الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 1/61-62.

2الكامل لابن الأثير 2/138.

3التمهيد، للباقلاني، ص: 114.

أ- حاجة النبي إلى المعجزة:[1]

من المعلوم أن حاجة البشر إلى الهداية الإلهية ضرورة حياتية وفطرية تستلزمها طبيعة الإنسان واستعداده الخلقي، وما أنيط به من دور هذه الحياة، وهذه الهداية واجبة على الله تعالى وذلك:

1. لعلم الله تعالى بحاجة الإنسان إليها، فعدم علمه بها جهل يتنزه عنه رب العالمين.

2. لكرم الله ولطفه ورحمته، وقد كتب على نفسه الرحمة، فالبخل بها مع حاجة الناس إليها نقص ممتنع عنه سبحانه وتعالى.

3. لقدرة الله تعالى على هداية الناس، إذ العجز نقس يستحيل على العلي القدير.

ونخلص من هذه القواعد العقلية إلى ان الهداية الألهية واجبة على الله تعالى وجوبا عقليا، وهي تتطلب مبلغا عنه يؤديها إلى الناس، وذلك هو النبي.

ولما كان العقل السوي يتطلب دليلا على كل "دعوى"، فمن ادعى بسفارة عن الله تعالى، مقتضاها هداية الناس إلى حياة أفضل وعيش أرغد، بتغيير واقعهم إلى واقع أمثل، وإلزامهم بتكاليف وواجبات مؤداها إتيان امور وترك اخرى، وهذه السفارة المدعاة لا بد لها من دعم وإسناد ملزم يكون بين على صدق المدعي، ودليلا على واقعيته، وحقيقة النقل والتبليغ عن الله تعالى وشاهد صدق، وحجة بالغة على المخاطبين بها من الناس.

ومن هنا كانت المعجزة ضرورة للدلالة على صدق النبوة ولا مفر منها لتأدية الأمانة التي تحملها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يقوم مقام المعجزة أي أمر آخر في متناول الناس القيام به. وبالمعجزة يقطع دابر المتنبئين إذ أن الناس تطالبهم بها بمجرد إدعائهم النبوة، فيسقط في أيديهم ويظهر زيف إدعائهم وكذب مزاعمهم.

ب- حاجة الناس إلى المعجزة:

1موجز علوم القرآن، ص: 50-51.

إن من لوازم النبوة –بالنسبة للناس– تكليفهم بأمور، فهم يدعون بموجبها إلى التخلي عما هم عليه، من علاقات وتنظيم وعقائد وأفكار، وعواطف ومفاهيم و... السير على نهج جديد.

والطلب إلى الناس تغيير ركائز عقائدهم وأصل مناهجهم الإجتماعية وأعرافهم وما ألفوه وورثوه، لا شك انه كلفة دونها سائر التكاليف، فلا بد من تحقيق استجابتهم، والحصول على انقيادهم وطاعتهم طوعا لا بالقهر، والغلبة المادية، والإكراه الجسدي –إذ لا إكراه في الدين– ولا يتحقق الإذعان إلى صوريا إن لم يكن عن قناعة وإيمان، وهذه الصورة من الإستجابة لا تمم إلا بأمر خارق لنواميس الطبيعة، يقفون عنده مذعورين طائعين، ويتم ذلك بالمعجزة، قال سبحانه: "**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**" (إبراهيم: 1) فأخبر عز وجل أن المقصد الأساس للقرآن هداية الناس، ولا يكون ذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة على الناس ما لم يكن معجزة.[1]

2- التحدي في القرآن ووجوه الإعجاز:

التحدي لغة:

أصله من "احدى إذا تعمد شيئا كتحداه، والحديا بالضم وفتح الدال وتشديد الياء المفتوحة: المنازعة والمباراة، وقد تحدى ... وأنا حدياك أبرز لي وحدك".[2]

التحدي في الإصطلاح:

هو إظهار القرآن ودعوى النبي صلى الله عليه وسلم عجز العرب عن أن يأتوا بمثله. لأنه من عند الله، سواء في ذلك دعواه بلسانه أو بلسان القرآن، فالنبي صلى الله عليه وسلم تحدى العرب قاطبة بالقرآن حين قالوا افتراه. بل وجه القرآن الكريم التحدي إلى الإنس والجن في أظهر مظاهر قوتهم ومنعتهم. وقد أخذ هذا التحدي عدة مراحل:

1موجز في علوم القرآن، ص: 52.

2القاموس: 316/4.

1. تحداهم بالقرآن كله. في قوله تعالى: "**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**" (الإسراء: 88).

2. تحداهم بعشر سور منه، في قوله تعالى: "**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ**" (هود: 13).

3. فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تشاكل القرآن، قال تعالى: "**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**" (البقرة: 23).

"فقد ثبت أنه تحداهم به وانهم لم ياتوا بمثله لعجزهم عنه، لانهم لو قدروا على ذلك لفعلوا، ولما عدلوا إلى العناد تارة، والإستهزاء أخرى، فتارة قالوا: "سحر"، وتارة قالوا "شعر"، وأخرى قالوا: "أساطير الأولين".[1]

وجوه إعجاز القرآن:

القرآن معجز في كل وجه من وجوهه، وحال من أحواله، بداية ما نزل منه كآخر ما انتهى إليه، ووسطه كطرفيه: نسيج فريد، ونسق واحد، ومستوى شاهق، هو معجز في حركات حروفه، وحروف كلماته وكلمات آياته وآيات سوره، وسور مصحفه معجز فيما أخبر وفيما أنبأ، وفيما أمر ونهى، وفيما قرر ونفى، معجز في الصياغة والنظم الموزون، وفي التركيب والمضمون، لا في عصر دون سائر العصور، بل للجن والإنس إلى يوم يبعثون.[2] فالآية تفسر الآية، وبعض يبين بعض.[3]

ولا اظن أن احدا من العلماء والباحثين، من القدامى والمحدثين، أحاط علما بما في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز. "قال أبو حيان التوحيدي في البصائر: لم أسمع كلاما ألصق بالقلب، وأعلق بالنفس من فصل تكلم به بندار بن الحسين الفارسي ... وقد سئل عن موضع الإعجاز من القرآن، فقال: هذه مسألة فيها حيف على المفتى، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان، بل متى أشرت إل جملته فقد

1البرهان للزركشي: 91/2.

2موجز في علوم القرآن، ص: 56.

3قال الإمام علي في نهج البلاغة: ينطق بعضهم ويشهد بعضه على بعض".

حققته، ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومعجزة لمحاوره، وهدى لقائله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده".[1]

وبالرغم من تحديد بعض العلماء[2] وجوه الإعجاز في القرآن الكريم. فإنهم ذهبوا إلى ذلك بأقوال مختلفة حول وجوه هذا الإعجاز القرآني، ومن هذه الأقوال:

1. بلاغة القرآن وفصاحته:

لقد برعت العرب في البلاغة، وامتازت بالفصاحة، وبلغت الذروة في فنون الأدب، حتى عقدت النوادي وأقامت الأسواق للمباراة في العشر والخطابة، فكان المرء يقدر على ما يحسنه من الكلام، وبلغ من تقديرهم للشعر أن عمدوا لسبع قصائد من خيرة الشعر القديم، وكتبوها بماء الذهب في القباطي، وعلقت على الكعبة، فكان يقال: هذه مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره.[3]

وحيث كانت العرب قد شاءت هذا الشأو البعيد في أساليب البلاغة، وفنون الأدب، رجالا ونساء. فلهذا السبب تحداهم القرآن، وهم على ما هم عليه من قدرة في البلاغة لا تداني ولا تضارع، وكان من الجدير بهم – وفيهم الفصحاء النابغون في الفصاحة – أن يجيبوه غلى ما يريد، ويسقطوا حجته بالمعارضة، لو كان ذلك ممكنا غير مستحيل، ولكن العرب فكرت في بلاغة القرآن فأذعنت لإعجازه. وعلمت أنها مهزومة إذا أرادت المعارضة، قال الطبرسي: "إن كل فعل لا يقع من فاعله، مع توافر

1البرهان: 100/2. ومعترك الأقران: 11/1.

2أ- قال أبو بكر الباقلاني: "وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم".

ب- وقال الإمام الرازي: "وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب".

ج- وقال الزملكاني: "وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف، بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزينة. وعلة مركباته معنى بان يوضع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى".

د- وقال ابن عطية: "الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه".

البرهان: 97/2. والإتقان: 151/2.

3العمدة، لابن رشيق: 78/1.

دواعيه، وقوة بواعثه عليه، فإنه يدل على تعذره، فإذا ثبت ذلك، وعلمنا أن العرب تحدوا بالقرآن، ولم يعارضوه. مع شدة حاجتهم إلى المعارضة، وقوة دواعيهم، علمنا أنها متعذرة عليهم".[1]

ومن أمثلة ما جاء في القرآن من بلاغة:

أ. قوله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**" (الحج: 11).

إن القرآن الكريم كما يصور ببلاغة أسلوبه. المعاني المجردة، فإنه يصور الحالات النفسية والمعنوية، إنه "يريد أن يوضح حالة تزعزع العقيدة .. فيرسم لهذا التزعع صورة تهتز وتترنح، وتوشك على الإنهيار ... إن الخيال ليكاد يجسم هذا "الحرف" الذي يعبد الله عليه هذا البعض من الناس، وإنه ليكاد يتخيل الإضطراب الحسي في وقفتهم، وهم يتأرجحون بين الثبات والإنقلاب، إن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع لأنها تنطبع في الحس، وتتصل منه بالنفس".[2]

ب. قال أبو العالية في قوله تعالى: "**الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**" (الماعون: 5) إنه الذي ينصرف ولا يدري عن شفع أو وتر، فرد عليه الحسن: بأنه لو كان كذلك لقال: "**الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ**"، فلم يفرق أبو العالية بين "في" و"عن" حتى تنبه له الحسن، وقال المراد به: إخراجها عن وقتها.[3]

2. ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع، فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر، وقد وقع جميعا ما أنبيئ به دون أدنى خلاف.

كقوله تعالى: "**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ**" (الفتح: 27).

وقوله: "**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**" (القمر: 45).

وقوله: "**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**" (النور: 55).

1أعلام الورى بأعلام الهدى، ص: 30.

2التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: 41-42.

3البرهان: 105/2.

وقوله: "**الم غُلِبَتِ الرُّومُ**" (الروم: 1-2).

وقوله: "**أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**" (القمر 44-45).

مخبرا عن قول أبي جهل يوم بدر: "نحن ننتصر اليوم عن محمد وأصحابه" فأباده الله وأخزى جمعه ونصر المسلمين.

وكقوله سبحانه: "**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ**" (الأنفال: 07).

3. ما أنبأ من أخبار القرون السالفة والأمم البادئة، والشرائع الدائرة مما كان لا يعمل منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه، وان مثله لم ينله بتعليم، وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة، وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى مع الخضر، ويوسف وأخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان وإبنه، وما في التوراة والانجيل والزبور، وصحف إبراهيم وموسى. مما صدقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك، فمن موفق آمن بما سبق له من الخبر، ومن شقي معاند حاسد، كقوله تعالى: "**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا** ..." (هود: 49).

وقوله: "**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**" (الأعراف: 11).

4. صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه.

ولو لم يكن القرآن روحا من أمر الله لاقتضى حدوث الإختلاف والتعارض والتفرق، وعدم الملاءمة بين أجزائه ومباحثه، فإن الشاعر العربي ينظم القصيدة حولا، ثم يعيدها فيجد الحشو والزيادة والنقصان ونحو ذلك.

"**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**" (النساء: 82).

5. تشريعات القرآن: من بين هذه التشريعات التي أصبحت اليوم من مبادئ دساتير الدول، ومواثيق المنظمات والإتفاقات الدولية، على سبيل المثال:

الحكم بالعدل، في قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**" (النحل: 90).

تحريم الفساد، في قوله تعالى: "**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**" (الأعراف: 33).

6. الإشارات العلمية:

ذكر القرآن بعض الإشارات العلمية التي لم يكتشف أمر بعضها إلا في عصر الذرة والأقمار وعصر الفضاء، كقوله تعالى: "**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**" (الأنبياء: 30).

فهذه الوجوه من الإعجاز في القرآن جاء بها رسول الله، لا بإعتباره الشخصي، وكونه بشر كسائر الناس، بل بإعتباره الوظيفي، وكونه يمتاز عن سائر البشر بصلته بالله تعالى، لأنه رسول من الله القادر على كل شيء.

"وكفى بواحد من هذه الوجه دليلا على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وشاهدا على ما جاء به من عند الله".[1]

1موجز في علوم القرآن، ص: 72.

3- الإعجاز اللغوي:

4- لقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأت لغتهم حتى شبت وترعرعت، وأصبحت في عنفوان شبابها عملاقا معطاء، واستظهروا شعرها ونثرها. وحكمها وأمثالها، وطاوعهم البيان في أساليب ساحرة، حقيقية ومجازا، إيجازا وإطنابا، حديثا ومقالا، وكلما ارتفعت اللغة وتسامت، وقفت على أعتاب لغة القرآن في إعجازه اللغوي كسيرة صاغرة، تنحني أما أسلوبه إجلالا وخشية، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ. ازدهرت فيها اللغة إلا وتطامن أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني اعترافا بسموه، وإدراكا لأسراره، ولا عجب "فتلك سنة الله في آياته التي صنعها بيده، لا يزيدك العلم بها والوقوف على أسرارها إلا إذعانا لعظمتها، وثقة بالعجز عنها، ولا كذلك صناعات الخلق، فإن فضل العلم بها يمكنك منها ويفتح لك الطريق إلى الزيادة عليها، ومن هنا كان سحرة فرعون هم أول المؤمنين برب موسى وهارون.[1]

5- والذين تملكهم الغرور، وأصابتهم لوثة الإعجاب بالنفس، وحاولوا التطاول على أسلوب القرآن، حاكوه بكلام فارغ. أشبه بالسخف والتفاهة والهذيان والعبث، وارتدوا على أعقابهم خاسرين، كالمتنبئين وأشباه المتنبئين، من الدجاجين والمغرورين.

6- وقد شهد التاريخ فرسانا للعربية خاضوا غمارها وأحرزوا قصب السبق فيها، فما استطاع احد منهم أن يحدثه نفسه بمعارضة القرآن. إلا باء بالحزي والهوان، بل إن التاريخ سجل هذا العجز على اللغة، في أزها عصورها، وأرقى أدوارها، حين نزل هذا القرآن، وقد بلغت العربية أشدها، وتوافرت لها عناصر الكمال والتهذيب، في المجامع العربية وأسوابقها، ووقف القرآن من أصحاب هذه اللغة موقف التحدي. في صور شتى متنزلا معهم إلى الاخف من عشر سور إلى سورة إلى حديث مثله، فما استطاع أحد أن يباريه أو يجاريه منهم، وهم اهل الأنفة والعزة والإباء. ولو وجدوا قدرة على محاكاة شيء منه، او وجدوا ثغرة فيه. لما ركبوا المركب الصعب أمام هذا التحدي، بإشهار السيوف، بعد أن عجز البيان، وتحطمت الأقلام.

1النبأ العظيم، صفحة 81.

7- وتتابعت القرون لدى أهل العربية، وظل الإعجاز القرآني اللغوي راسخا كالطود لأنها أشد عجزا وأقل طمعا في هذا المطلب العزيز. وسيظل الأمر كذلك إلى يوم الدين.

8- ولا يستطيع أحد أن يدعي عدم الحاجة إلى معارضة القرآن، وإن كان ذلك ممكنا، فإن التاريخ يشهد بأنه قد توافرت الدواعي الملحة لدى القوم لمعارضة حميتهم. وسفه أحلامهم، وتحداهم تحديا سافرا يثير حفيظة الجبان الرعد يدمع ما كانوا عليه من انفة وعزة. فسلكوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم مسالك شتى، ساوموه بالمال والملك ليكف عن دعوته، وقاطعوه ومن معه حتى يموتوا جوعا. واتهموه بالسحر والجنون، وتآمروا على حبسه، أو قتله أو إخراجه. وقد دلهم على الطريق الوحيد لإسكاته وهو أن يجيئوه بكلام مثل الذي جاءهم به، "ألم يكن ذلك أقرب إليهم وأبقى عليهم لو كان أمره في يدهم؟ ولكنهم طرقوا الأبواب كلها إلا هذا الباب، وكان القتل والأسر والفقر والذل وكل أولئك أهون عليهم من ركوب هذا الطريق الوعر الذي دلهم عليه، فأي شيء يكون العجز إن لم يكن هذا هو العجز؟".

9- والقرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سنن كلامهم. ألفاظا وحروفا، تركيبا وأسلوبا، ولكنه في اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الإسمية والفعلية .. وفي النفي والإثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتنكير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الأطناب والإيجاز. وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، وفي النص والفحوى .. وهلم جرا ولكن القرآن في هذا ونظائره بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر.

10- عن ابن عباس: "ان الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من اكثرها مالا، قال: فقل قولا يبلغ قومك انك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فو الله ما فيكمرجل أعلم بالشعر مني لا يرجزه ولا بقصيدة ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى

قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قالل: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت (**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**) [المدثر: 11].[1]

11- وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسرارا من الإعجاز اللغوي.

12- يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه. حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها، وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل أذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

13- ويجد ذلك في ألفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنه زائد، ولا يعثر الباحث على موضع يقول إنه يحتاج إلى إثبات لفظ ناقص.

14- ويجد ذلك في ضرورة الخطاب التي يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم، فيراها كل واحد منهم مقدرة على مقايس عقله ووفق حاجته، من العامة والخاصة (**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**) [القمر: 17].

15- ويجد ذلك في إقناع العقل وإمتاع العاطفة بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيرا ووجدانا في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير.

16- وهكذا حيثما قلب النظر قامت أمامه حجة القرآن في التحدي والإعجاز.[2]

17- قال القاضي أبو بكر الباقلاني:[3] "والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف انواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى يرسل إرسالا فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة

1أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل.

2راجع الإعجاز اللغوي في "النبأ العظيم" بتوسع.

3هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني صاحب كتاب "إعجاز القرآن" وكتاب "التقريب والإرشاد" في أصول الفقه، توفي سنة 403 هـ.

على وجه بديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلا في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل. يتصنع له، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق، فليس من باب السجع، وليس من قبيل الشعر، وتبين بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة. وانه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه ...

18- وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغريزة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول ــ وعلى هذا القدر، وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة، وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال والاختلاف، والتكلف والتعسف، وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله عزوجل من قائل: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)**﴾ [الزمر: 23] ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82] فأخير أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال.

19- وعجيب نظم القرآن وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما ينصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ــ من ذكر قصص ومواعظ، واحتجاج وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها، ونجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المقلق، والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور، فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح، ومنهم من يسبق في التفريط دون التأبين ومنهم من يقرب في وصف الإبل والخيل، أو سير الليل، او وصف الحرب، أو وصف الروض، أو وصف الخمر، او الغزل او غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام. ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب وبزهير إذا رغب، ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام ...

20- وقد تأملنا نظام القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والوصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا .. فعلمنا بذلك انه مما لا يقدر عليه البشر..".[1]

أسئلة للفهم

1- ما مفهوم الاعجاز

2- هل الحاجة مائلة اليه اليوم

3- أذكر وجوه الاعجاز

4- ما مفهوم الاعجاز اللغوي وأمثلته

5- ما مفهوم الاعجاز العلمي وأمثلته

6- ما معنى الاعجاز التشريعي وما هي نماذجه

1إعجاز القرآن بتصرف.

الدرس الحادي عشر:
التفسير والمفسرون

1. التفسير والتأويل مفهومهما والفرق بينهما
2. نشأة التفسير ومراحله
3. التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي
   - أ. التفسير بالمأثور
   - ب. التفسير بالرأي

1- التفسير والتأويل مفهومهما والفرق بينهما:

التفسير لغة:

تفعيل من الفسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول والفسر: البيان، واشتقاقه من فسر الطبيب للماء: إذ نظر إليه، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، وفي القرآن: "**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**" (الفرقان: 33) قال ابن عباس: تفصيلا.[1]

التفسير في الإصطلاح:

أ. التفسير عند القدامى:

قال أبو طالب الثعلبي: "التفسير: بيان وضع اللفظ، إما حقيقة أو مجازا، كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر".[2]

وقال الماتريدي/: التفسير: "القطع على ان المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله انه عني باللفظ هذا، فان قام دليل مقطوع به فصحيح وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهى عنه".[3]

ب. التفسير عند المتأخرين:

قال الأصبهاني في تفسيره: "اعلم ان التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من ان يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره".[4]

وعرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك".[5]

1الدر المنثور، للسيوطي: 70/5.

2الإتقان: 221/2-222.

3الإتقان: 221/2.

4الإتقان: 222/2.

5الإتقان: 222/2.

وقال: "فقولنا علم جنس، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن: هو علم القراءة، وقولنا ومدلولاتها: أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا وأحاكمها الافرادية والتركيبية: هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع، وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب: يشمل ما دلالته في الحقيقة وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب وقد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل عليه صاد، فيحمل على غيره وهو المجاز، وقولنا: وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك".[1]

وقال الزركشي: "التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج احكامه وحكمه، واستنباط ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصوله الفقه والقراءات..".[2]

التأويل لغة:

مأخوذة من الاول، وهو الرجوع إلى الأصل، ومعنى قولهم، ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد به؟ كما قال تعالى: "**يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**" (الأعراف: 53).

أي تكشف عاقبته، ويقال: آل الأمر إلى كذا، أي صار إليه، وقال تعالى "**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**" (الكهف: 82).

وأصله من المال، وهو العاقبة والمصير، وقد أولته فآل، أي: صرفته فأنصرف، فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني، وإنما بنؤه على التفعيل لما تقدم ذكره في التفسير.[3]

"وقيل أصله من الإيالة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام، ووضع المعنى فيه موضعه".[4]

1المصدر نفسه: 222/2.

2أيضا: 222/2-223.

3البرهان: 148/2.

4الإتقان: 221/2.

التأويل في الإصطلاح:

أ. التأويل عند القدامى:

قال أبو طالب الثعلبي: "والتأويل: تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعقابة الأمر، فالتأويل: إخبار عن حقيقة المراد ...".[1]

وذهب الماتريدي إلى ان التأويل: "ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله".[2]

ب. التأويل عند المتأخرين:

قال البغوي والكواشي: "التأويل: صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الإستنباط".[3]

وقد ذكر العلامة الألوسي إلى أن: "كل ما قيل مما ذكرنا وما لم نذكر مخالف للعرف اليوم، إذ قد تعورف عند المؤلفين من غير نكير ان للتأويل معان قدسية، ومعارف ربانية، تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين".[4]

الفرق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، وعلى ضوء ما سبق في معنى التفسير والتأويل نستطيع ان نبين أهم هذه الآراء:

1. يرى بعضهم "أن التغير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط، يوجعل التفسير اعم مطلقا، وكأنه يريد من التأويل: بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل. ويريد من التفسير، بيان مدلول اللفظ مطلقا، اعم من ان يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر".[5]

1المصدر نفسه: 221/2.

2أيضا: 221/2.

3الإتقان: 222/2.

4مناهل العرفان، الزرقاني: 5/2.

5المصدر نفسه: 5/2.

2. وبعضهم يرى: أن التفسير مباين للتأويل، فالتفسير: هو القطع بان مراد الله كذا، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، وهذا هو قول "الماتريدي": "أن التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية، والتأويل: بيان اللفظ عن طريق الدراية، أو التفسير: هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل: هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة".[1]

3. وقال الراغب: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل".[2]

4. وقال أيضا: "أعلم ان التفسير في عرف العلماء: كشف معاني القرآن، وبيان المراد، اعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيرهن والتفسير، إما ان يستعمل في غريب الألفاظ، نحو البحيرة[3] والسائبة[4] والوصيلة،[5] أو في وجيز تبيين لشرح نحو: "**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ**"، وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله: "**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**" (التوبة: 37) وقوله: "**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**" (البقرة: 189).

أما التأويل: فغنه يستعمل مرة عاما، ومرة خاصا، نحو: الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في الجحود الباري عز وجل خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى...".[6]

1مناهل العرفان، الزرقاني: 5/2.

2الإتقان: 221/2.

3البحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، والخامس ذكر بحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها، أي شقوها، وكانت حراما على النساء، لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلت للنساء.

4السائبة: البعير يسيب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله من مرض، أو بلغه منزله ان يفعل ذلك.

5الوصيلة: من الغنم، كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا، فإن كان السابع ذكرا ذبح، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان ذكرا وأنثى قالوا: قد وصلت أخاها، فلم تذهب لمكانها، وكانت لحومها حارما على النساء .... إلا ان يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء. انظر تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، ص: 147.

6الإتقان: 222/2.

2- نشأة التفسير ومراحله:

التفسير في عهد الوحي:

لا ريب أن التفسير مر بأطوار كثيرة، حتى اتخذ هذه الصورة التي نجده عليها الآن في بطون الأمهات والتصانيف، بين مطبوع ومخطوط.

فنشأ مبكرا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان اول شارح لكتاب الله، يبين للناس ما نزل على قلبه.[1]

فبدأ التفسير للآيات، وبيان معاني ألفاظ القرآن وعباراته في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هو المعلم الأول للقرآن الكريم وتوضيح مقاصده، وحل ما غمض من عباراته.

فبعد أن تكفل الله سبحانه وتعالى لرسوله بحفظ القرآن وبيانه "**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**" (القيامة: 17-19).

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يفهم القرآن جملة وتفصيلا، وكان عليه ان يبينه لأصحابه، قال تعالى: "**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**" (النحل: 44). وقال: "**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**" (الجمعة: 2).

وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وبأمر منه اشتغل جماعة من الصحابة بقراءة القرآن، وحفظه، وضبطه، وهم الذين يسمون بالقراء.[2]

التفسير في عصر الصحابة:

اشتغل جماعة من الصحابة بالتفسير بعد أن ارتحل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، حيث انهم كانوا يفهمون القرآن كذلك، لأنه نزل بلغتهم، وإن كانوا لا يفهمون دقائقه. يقول ابن خلدون: "إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في

1مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص: 289.

2القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، ص: 68.

مفرداته وتراكيبه".[1] وكلنهم مع هذا يتفاوتون في الفهم، ولذا قال ابن قتيبة: "إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتاشبه، بل إن بعضها يفضل في ذلك عن بعض".

والمفسرون من الصحابة كثيرون، وأشهرهم:

الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وكان أشهرهم: عبد الله بن عباس،[2] فهو ترجمان القرآن، "فعن مجاهد قال: قال ابن عباس، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم ترجمان القرآن أنت"،[3] وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه من التأويل".[4]

وكان منهج هؤلاء أنهم يعتمدون في تفسيرهم للقرآن بهذا العصر على:

1. القرآن الكريم: فما جاء مجملا جاء مبينا في موضع آخر، وقد يذكر الله لفظا عاما في آية، ثم يذكره في أخرى موضحا المراد منه والخصوص، وهذا هو الذي يسمى تفسير القرآن بالقرآن، فمثلا:

في قوله تعالى: "**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**" (المائدة: 01)، فسره آية: " **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ** " (المائدة: 03).

وكقوله تعالى: "**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**" (الحج: 32)، فالشعائر العامة، أو غامضة الدلالة، ثم فسرت بآية أخرى: "**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**" (الحج: 36).

2. انهم ينقلون ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم في معاني الآيات بشكل أحاديث مسندة،[5] وبلغت هذه الأحاديث كلها إلى نيف وأربعين ومائتين حديث أسانيد كثير منها ضعيفة، ومتون بعضها منكرة لا يمكن الركون إليها.[1]

1مقدمة إبن خلدون.

2الإتقان: 239/2.

3مناهل العرفان: 15/2.

4الإتقان: 240/2.

5الإتقان: 244/2، وما بعدها.

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم ما يشاء عند الحاجة، وروى عقبة بن عامر قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة. ألا وإن القوة الرمي".[2]

3. الفهم والإجتهاد: فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى، ولم يجدوا في ذلك شيئا عن الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهدوا في الفهم، وكان ابن عباس في اكثر الأوقات يستشهد بأبيات شعرية في فهم معاني الآيات كما نرى ذلك في سؤالات نافع بن الأزرق، فغن ابن عباس عند الإجابة عليها استشهد بالعشر في اكثر من مائتى مورد من الآيات، وقد نقل السيوطي مائة وتسعين جوابا منها في كتاب الإتقان.

التفسير في عصر التابعين:

اشتهر بعض اعلام التابعين بالتفسير، وهم تلامذة مفسري الصحابة، "وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ماء جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما اخذوه من اهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله بهم عليهم من طريق الإجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى.[3]

و"إن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من التفسير، لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض على تدرج – كلما بعد الناس عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقس، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، ثم جاء من بعدهم فأتموا تفسير

1القرآن في الإسلام، الطباطبائي، ص: 69.

2التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي: 36/1.

3المصدر نفسه: 99/1.

القرآن تباعا، معتمدين على ما عرفوه من لغة العرب ومناجيهم في القول، وعلى ما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن، وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل البحث.[1]

وكان منهج التابعين في التفسير أنهم ينقلونه أحيانا بصورة أحاديث عن الرسول الكريم، أو الصحابة، واحيانا ينقلونه بشكل نظريات خاصة بلا اسنادها إلى أحد. فعامل متأخرو المفسرين مع هذه الأقوال معاملة الأحاديث النبوية، واعتبروها أحاديث موقوفة.[2]

وبعد ان اتسعت الفتوحات الإسلامية، وانتقل كثير من أعلام الصحابة إلى الأمصار المفتوحة، نشأت مدارس متعددة:

1. **في مكة:** نشأت مدرسة ابن عباس، قال ابن تيمية: "أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس".[3]

ومن تلامذة ابن عباس: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس ابن كيسان اليماني، وعطاء ابن أبي رباح، وعطاء بن أبي مسلم، وقتادة. وهؤلاء يختلفون في الرواية عن ابن عباس قلة وكثرة، قال الفضل بن ميمون: "سمعت مجاهدا يقول: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وسأله عنها فما نزلت وكيف كانت".[4]

2. **في المدينة:** اشتهر أبي بن كعب بالتفسير أكثر من غيره، وأكثر ما نقل عنه ذلك، ومن تلاميذه من التابعين الذين أخذوا عنه مباشرة أو بالواسطة: زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس.

1التفسير والمفسرون: 99/1.

2الاحاديث الموقوفة هي التي لم يذكر فيها المروي عنه.

3الإتقان: 242/2.

4الإتقان: 243/242/2.

3. **في الكوفة:** نشأت مدرسة ابن مسعود التي يعتبرها العلماء نواة مدرسة أهل الرأي، وعرف بالتفسير من اهل العراق كثير من التابعين، اشتهر منهم: علقمة بن قيس، ومسروق والأسود بن يزيد، ومرة الهمذاني، وعامر الشعبي.

4. هؤلاء هم مشاهير المفسرين من التابعين في الامصار الإسلامية الذين أخذ أتباع التابعين من بعدهم، وخلقوا لنا تراثا علميا خالدا.

التفسير ما بعد التابعين:

وعن التابعين أخذ تابعو التابعين، فجمعوا أقوال من تقدمهم، وصفوا التفاسير، ومن أوائل المؤلفين في علم التفسير: شعبة بن الحجاج "ت 160هـ"، ووكيع بن الجراح "ت 197هـ"، وسفيان بن عيينة "198 هـ"، وعبد الرزاق بن همام "ت 211هـ"، وعبد بن حميد "ت249 هـ" وغيرهم. ولم يصل إلينا من تفاسيرهم شيء، وإنما روي ما نقل مسندا إليهم في كتب التفسير بالمأثور.

ومنهج هذه الطبقة من المفسرين كان نقل أقوال الصحابة والتابعين بشكل أحاديث في مؤلفاتهم التفسيرية بدون ذكر آرائهم الخاصة.

وجاء بعد هؤلاء، المفسرون الذين نقلوا الأحاديث في تفاسيرهم بحذف الأسانيد واكتفوا بنقل الأقوال والآراء، قال السيوطي: فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل.[1]

إلا أن المتدبر في الأحاديث المسندة يرى أيضا كثيرا من الوضع والدس، ويشاهد الأقوال المتناقضة تنسب إلى صحابي واحد، ويقرأ قصصا وحكايات يقطع بعدم صحتها، ويمر على أحاديث في أسباب النزول.

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم شتى فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه.[2]

1الإتقان: 243/2.

2المصدر نفسه: 243/2.

فالنحوي: تراه ليس له هم إلا الإعراب، وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله فروعه وخلافيته، كالزجاج، والواحدي، وأبو حيان. والإخباري: ليس له شغل إلا القصص واستفائها، والإخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة، كالثعلبي في تفسيره.

والفقيه: يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى امهات الأولاد، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية، والجواب عن أدلة المخالفين، كالقرطبي في تفسيره.

وصاحب العلوم العقلية، خصوصا الإمام فخر الدين الرازي، قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها. قال أبو حيان في البحر: "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء إلا التفسير".[1]

وقد خلط جماعة آخرون في تفاسيرهم بين العلوم المختلفة كما نشاهده في تفسير روح المعاني[2] وروح البيان[3] وتفسير النيسابوري.[4]

3- التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

أ. التفسير بالمأثور:

تعريفه: هو الذي يعتمد على صحيح المنقول بالقرآن، أو بالسنة، لأنها جاءت مبينة لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة، لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة.

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور:

منذ القرن الثاني للهجرة قام العلماء بمحاولات لتفسير القرآن بالمأثور، بيد أن محاولاتهم بقيت مخطوطة، أو ضائعة، أو ناقصة، ولم يصل إلينا إلا عدد ضئيل جدا، منها[1] وأشهر ما بقي:

1الإتقان: 2/242-243.

2تأليف الشيخ اسماعيل حقي، توفي سنة 1137 هـ.

3تأليف شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، توفي سنة 1270 هـ.

4غرائب القرآن، تأليف نظام الدين حسن النيسابوري، توفي سنة 728 هـ.

1. تفسير ابن عباس.
2. تفسير ابن عيينة.
3. تفسير ابن أبي حاتم.
4. تفسير ابن عطية الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".
5. تفسير أبي الليث السمرقندي "بحر العلوم".
6. تفسير أبي اسحاق الثعلبي "الكشف والبيان عن تفسير القرآن".
7. تفسير ابن جرير الطبري "جامع البيان في تفسير القرآن".
8. تفسير أبي الفداء الحافظ ابن كثير "تفسير القرآن العظيم".
9. تفسير أبي محمد الحسين البغوي "معالم التنزيل".
10. تفسير عبد الرحمن الثعالبي "الجواهر الحسان في تفسير القرآن".
11. تفسير جلال الدين السيوطي "الدر المنشور في التفسير بالمأثور".
12. تفسير الشوكاني "فتح القدير".

وأجل التفاسير بالمأثور هو تفسير ابن جرير الطبري، ويسمى كتابه "جامع البيان في تفسير القرآن".

ومن خصائصه أنه عرض فيه لأقوال الصحابة والتابعين مع تحرير أسانيدها وترجيح بعضها على بعض، واستنباط الكثير من الأحكام، وذكر بعض وجوه الإعراب التي تزيد المعنى وضوحا، غير انه –اعتمادا منه على معرفة الناس حال الأسانيد– كان أحيانا يغفل بعضها، ويذكر منها غير الصحيح، دون أن ينبه عليه.[2]

1التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، ص: 108.

2مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص: 291.

ب. التفسير بالرأي:

ويسميه بعضهم: التفسير بالدراية.

والمراد بالرأي هنا: الإجتهاد. والتفسير بالرأي: هو تفسير القرآن بالإجتهاد بعد معرفة المفسر كلام العرب، وأساليبهم في القول، وبعد وقوفه على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغيرها من علوم القرآن.[1]

الشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأي:[2]

الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل: إنه في حكم الموضوع مطلقا، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة مع الإحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

الرابع: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع الرابع هو الذي دعى به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل".

أشهر كتب التفسير بالرأي، هي:

1. تفسير الرازي "مفاتيح الغيب" أو "التفسير الكبير".
2. أنواع التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي.
3. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي.
4. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن.
5. البحر المحيط، لأب حيان.
6. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري.

1التعبير الفني في القرآن، ص: 111.

2البرهان: 2/156-161، الإتقان: 2/234-235، ومباحث علوم القرآن .د. صبحي الصالح، ص: 292.

7. تفسير الجلالين، للجلال المحلى والجلال السيوطي.

8. السراج المنير في الإعانة على معرفة معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني.

9. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب القديم "لأبي السعود".

10. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني "للآلوسي".

شروط المفسر وآدابه:

وقد ذكر العلماء للمفسر شروطا نجملها فيما يأتي:

1. صفحة الإعتقاد، فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيرا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار.

2. التجرد عن الهوى: فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم، ومعتقداتهم الذاتية.

3. أن يبدأ أولا بتفسير القرآن بالقرآن، فما اجمل منه في موضع فإنه قد فصل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط آخر.

أن يطلب التفسير من السنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما تصدر من طريق الله "**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**" (النساء: 105).

وقال الشافعي –رضي الله عنه– كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ما فهمه من القرآن.

4. فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك بما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح.

5. فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبير، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى بن عباس، وابن عباس، وعطاء

بن رباح، والحسن البصري. وغيرهم من التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض ذلك بالإستنباط والإستدلال، والمعتمد في ذلك كله النقل الصحيح.

6. العلم باللغة العربية وفروعها: فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وبتفهم على شروح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. قال مجاهد: ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر بأن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما لغات العرب.[1]

آداب المفسر:

1. حسن النية وصحة المقصد، فإنما الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية أولى بان يكون هدف صاحبها منها الخير العام وإسداء المعروف لصالح الإسلام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه والإنتفاع بالعلم ثمرة الإخلاص منه.

2. حسن الخلق: فالمفسر في موقف المؤدب، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس إلا إذا كان المؤدب مثالا يحتذى في الخلق والفضيلة، والكلمة النابية قد تصرف الطالب عن الإستفادة مما يسمع أو يقرأ وتقطع عليه مجرى تفكيره.

3. الإمتثال والعمل: فإن العلم يجد قبولا من العاملين أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه، وحسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقره من مسائل الدين، وكثيرا ما يصد الناس عن تلقي العالم من بحر زاخر في المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه.

4. تحري الصدق والضبط في النقل: فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرزيه حتى يكون في مأمن التصحيف واللحن.

5. التواضع ولين الجانب .. فالحلف العلمي حاجز حسين يحول بين العالم والإنتفاع بعلمه.

6. عزة النفس: فمن حق العالم أن يترفع عن سفاسف الأمور، ولا يفشي أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف.

---

1 السبعة في القراءات، ابن مجاهد.

7. الجهل بالحق: فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

8. الأناة والروية: فلا يسرد الكلام سردا، بل يفضله ويبين عن مخارج حروفه.

9. تقديم من هو اولى منه –فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وهم أحياء، ولا يعظمهم حقهم بعد الممات، بل يرشد إلى الأخذ عنهم وقراءة كتبهم.

10. حسن الإعداد وطريقة الاداء: كأن يبدأ بذكر سبب النزول، ثم معاني المفردات، وشرح التراكيب، وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذي يتوقف عليه تحديد المعنى، ثم يبين المعنى العام، ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره، ثم يأتي إلى الإستنباط والأحكام، أما ذكر المناسبة والربط بين الآيات أولا وآخرا، فذلك حسب ما يقتضيه النظم والسياق.

أسئلة للفهم

1- أذكر مفهوم علم التفسير

2- ما هي أنواع التفسير ومدارسه

3- ما معنى التفسير بالمأثور وأهم مؤلفيه

4- ما مفهوم التفسير بالرأي وأهم دواءه

5- ما هي شروط المفسر وآدابه

الدرس الثاني عشر:
القصة في القرآن مفهومها وفوائدها وأثرها في التربية

1. معنى القصص وأنواعها وفوائدها
2. تكرار القصص وحكمته
3. أثر القصص القرآني في التربية

1- معنى القصص وأنواعها وفوائدها

قصص القرآن:

الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، والموعظة الخطابية تسرد سردا لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح اهدافها، ويرتاح المرء لسماعها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها، والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، ويصوره في أبلغ صورة قصص: القرآن الكريم.

معنى القصص:

القص: تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى (**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**) [الكهف: 64] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى (**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**) [القصص: 11] أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة قال تعالى: (**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**) [آل عمران: 62] وقال: (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**) [يوسف: 111] والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة _ وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

أنواع القصص في القرآن:

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين. كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين اخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء ونحو ذلك.

فوائد قصص القرآن:

ولقصص القرآني فوائد نجمل أهمها فيما يآتي:

1. إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بها كل نبي (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)**) [الأنبياء: 25].

2. تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله (**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)**) [هود: 120].

3. تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

4. إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضيين عبر القرون والأجيال.

5. مقارعته اهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: (**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)**) [آل عمران: 93].

6. والقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس، (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**) [يوسف: 111].

2- تكرار القصص وحكمته:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك، ومن حكمه هذا:

1. بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها. فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

2. قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

3. الإهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وإمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل، مع ان القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

4. اختلاف الغاية التي تساق من اجلها القصة _ فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

القصة في القرآن حقيقة لا خيال:

ومن الجدير بالذكر أن احد الطلاب الجامعيين في مصر قدم رسالة لنيل درجة "الدكتوراه" كان موضوعها "الفن القصصي في القرآن"[1] أثارت جدلا طويلا سنة 1367 هجرية، وكتب عنها أحد أعضاء اللجنة الذين اشتركوا في مناقشة الرسالة، وهو الأستاذ أحمد أمين _ تقريرا بعث به إلى عميد كلية الآداب، ونشر في مجلة "الرسالة" وقد تضمن التقرير نقدا لاذعا لما كتبه الطالب الجامعي، وإن كان أستاذه المشرف قد دافع عنه. وصدر الأستاذ أحمد أمين تقريره بالعبارة الآتية:

1هو الدكتور محمد أحمد حلف الله.

"وقد وجدتها رسالة ليس عادية، بل هي رسالة خطيرة، أساسها أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ. والواقع أن محمدا فنان بهذا المعنى" ثم قال: "وعلى هذا الأساس كتب كل الرسالة من أولها إلى آخرها، وأني أرى من الواجب أن أسوق بعض أمثلة، توضح مرامي كاتب هذه الرسالة وكيفية بنائها" ثم أورد الأستاذ "أحمد أمين" منتزعة من الرسالة تشهد بما وصفها به من هذه العبارة المجملة.[1] كإدعاء صاحب الرسالة أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي. وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادثة تصويرا فنيا، وزعمه أن القرآن يختلق بعض القصص وأن الأقدمين أخطأوا في عد القصص القرآن تاريخا يعتمد عليه...

والمسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله، وأنه منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعني فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة.

ولعل صاحب الرسالة درس فن القصة في الأدب، وأدرك من عناصرها الأساسية الخيال الذي يعتمد على التصور، وأنه كلما ارتقى خيالها ونأى عن الواقع كثر الشوق إليها، ورغبت النفس فيها، واستمتعت بقراءتها. ثم قاس القصص القرآني على القصة الأدبية.

وليس القرآن كذلك، فإنه تنزيل من عليم حكيم، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقا للواقع، وإذا كان الفضلاء من الناس ستورعون من أن يقولوا زورا ويعدونه من أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية، فكيف يسوغ لعاقل أن يلصق الزور بكلام ذي العزة والجلال؟

والله تعالى هو الحق:

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) [الحج: 62].

وأرسل رسوله بالحق.

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [فاطر: 24].

1انظر نقد كتاب "الفن القصصي في القرآن _ للأستاذ محمد الخضر حسين _ بلاغة القرآن صفحة 94.

(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ) [فاطر: 31].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ) [النساء: 170].

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) [المائدة: 48].

(وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ) [الرعد: 01].

وما قصه الله تعالى في القرآن هو الحق:

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) [الكهف: 13].

(نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) [القصص: 03].

3- أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب:

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف _ وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر فلا تمل ولا تكد، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار.

والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة. وإلى أمد قصير. ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعا، وأكثر فائدة.

والمعهود _ حتى في حياة الطفولة _ أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يروى له، فيحاكيه ويقصه.

هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه.

وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم. ولا تقول في ذلك إلا حقا وصدقا.

ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم. وقد نجحت مجموعة القصص الديني للأستاذين "سيد قطب، والسحار" في تقديم زاد مفيد نافع لصغارنا نجاحا معدم النظير، كما قدم "الجارم" القصص القرآني في أسلوب أدبي بليغ أعلى مستوى، وأكثر تحليلا وعمقا. وحبذا لو نهج آخرون هذا النهج التربوي السديد.[1]

أسئلة للفهم

1- ما هو معنى القصة القرآنية وما هي أنواعها

2- ما هي فوائد القصص في القرآن

3- ما هي حكم تكرار القصة في القرآن

4- أذكر دور القصص في التربية والتعليم

1صدر السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مجموعة قصص النبيين وهي من القصص الرائدة (الناشر).

الدرس الثالث عشر:

الناسخ والمنسوخ

1. تعريف النسخ وشروطه وأهميته
   أ. تعريف النسخ وشروطه
   ب. ما يقع فيه النسخ
   ج. ما به يعرف النسخ وأهميته
2. الآراء في النسخ وأدلة ثبوته
3. أقسام النسخ وأنواعه وحكمه
4. النسخ إلى بدل وغير بدل وشُبه النسخ وأمثلته
   أ. النسخ إلى بدل وإلى غير بدل
   ب. شُبه النسخ
   ج. أمثلة النسخ في القرآن

تنزل التشريعات السماوية من الله تعالى على رسله لإصلاح الناس في العقيدة والعبادة والمعاملة. وحيث كانت العقيدة واحدة لا يطرأ عليها تغيير لقيامها على توحيد الألوهية والربوبية فقد اتفقت دعوة الرسل جميعا إليها (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) [الأنبياء: 25] _ أما العبادات والمعاملات فإنها تتفق في الأسس العامة التي تهدف إلى تهذيب النفس والمحافظة على سلامة المجتمع وربطه برباط التعاون والإخاء، إلا ان مطالب كل امة قد تختلف عن مطالب أختها، وما يلائم قوما في عصر قد لا يلائمهم في آخر، ومسلك الدعوة في طور النشأة والتأسيس يختلف عن شرعتها بعد التكوين والبناء، فحكمة التشريع في هذه غيرها في تلك، ولا شك أن المشرع سبحانه وتعالى يسع كل شيء رحمة وعلما، ولله الأمر والنهي (**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**) [الأنبياء: 23] فلا غرابة في أن يرفع تشريع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق بالأول والآخر.

1- تعريف النسخ وشروطه وأهميته:

تعريف النسخ وشروطه:

والنسخ لغة: يطلق بمعنى الإزالة، ومن يقال: نسخت الشمس الظل: أي أزالته. ونسخت الريح أثر المشي _ ويطلق بمعنى نقل الشيء من موضع غلى موضع، ومن نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه. وفي القرآن (**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) [الجاثية: 29] والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف.

والنسخ في الإصطلاح: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي _ فخرج بالحكم رفع البراءة الأصلية، وخرج بقولنا: بخطاب شرعي: رفع الحكم بموت او جنون او إجماع أو قياس.

ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ**) [البقرة: 106] وعلى الآية وما يعرف به النسخ، فيقال: هذه الآية نساخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر.

والمنسوخ هو الحكم المرتفع، فآية المواريث مثلا او ما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية الولدين والأقربين كما سيأتي، ومقتضى ما سبق أنه يشترط في النسخ:

1. أن يكون الحكم المنسوخ شرعيا.
2. أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم خطابا شرعيا متراخيا عن الخطاب المنسوخ حكمه.

3. وألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدا بوقت معين. وإلا فالحكم ينتهي بإنتهاء وقته ولا يعد هذا نسخا. قال "مكي":[1]

ذكر جماعة ان ما ورد من الخطاب مشعرا بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة (**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**)[2] محكم غير منسوخ، لأنه مؤجل بأجل، والمؤجل بأجل لا نسخ فيه.

ما يقع فيه النسخ:

ومن هنا يعلم أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنهي _ سواء كانت صريحة في الطلب او كانت لفظ الخبر الذي بمعنى الامر أو النهي على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر، او الآداب الخلقية، أو أصول العبادات والمعاملات لأن الشرائع كلها لا تخلو عن هذه الأصول. وهي متفقة فيها، قال تعالى: (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**) [الشورى: 13] (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**) [البقرة: 183] وقال: (**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا**) [الحج: 27] وقال في القصاص (**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**) [المائدة: 45] وقال في الجهاد (**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ**) [آل عمران: 146] وفي الأخلاق (**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**) [لقمان: 18].

كما لا يدخل النسخ الخبر الصريح الذي ليس بمعنى الطلب كالوعد والوعيد.

ما به يعرف النسخ وأهميته:

ولمعرفة الناس والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد روي أن عليا رضي الله عنه مر على

1هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ يكنى أبا محمد، وأصله من القيروان، كثير التأليف في علوم القرآن والعربية، له كتاب في "الناسخ والمنسوخ"، سكن قرطبة، ورحل إلى مصر مرتين، توفي سنة 437 هـ.

2سورة البقرة، الآية : 109.

قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكت وأهلكت، وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: (**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**) [البقرة: 269] قال "ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره، وحرامه وحلاله".[1]

ولمعرفة الناسخ والمنسوخ طرق:

1. النقل الصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي كحديث "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها" رواه الحاكم. وقول أنس في قصة أصحاب بئر معونة كما سيأتي: ونزل فيهم قرأناه حتى رفع.[2]
2. إجماع الأمة على ان هذا ناسخ وهذا منسوخ.
3. معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

ولا يعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهرا، أو تأخر إسلام أحد الراويين.

2- الآراء في السنخ وأدلة نبوته:

والناس في النسخ على أربعة أقسام:

1. **اليهود:** وهؤلاء ينكرونه لأنه يستلزم في زمهم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهم يعنون بذلك: أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة، وهذا عبث محال على الله، وإما أن يكون لحكمة ظهرت ولم تكن ظاهرة من قبل، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل، وهو محال على الله تعالى.

واستدلالهم هذا فاسد، لأن كلا من حكمة الناسخ وحكمة المنسوخ معلوم لله تعالى من قبل، فلم يتجدد علمه بها. وهو سبحانه ينقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة معلومة له من قبل بمقتضى حكمته وترصفه المطلب في ملكه.

1أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

2هم بعث من أصحاب رسول الله بعثهم إلى أهل نجد، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل من بني سليم من عصية ورحل وذكوان ــ وأحاطوا بهم وقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم.

واليهود أنفسهم يعترفون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها. وجاء في نصوص التوراة النسخ، كتحريم كثير من الحيوان على نبي إسرائيل بعد حله، قال تعالى في إخباره عنهم (**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ**) [آل عمران: 93] وقال: (**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ**) [الأنعام: 146] الآية. وثبت في التوراة أن آدم كان يزوج من الأخت. وقد حرم الله ذلك على موسى، وأن موسى أمر بني إسرائيل أن قتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم.

2. **الروافض**: وهؤلاء غالوا في إثبات النسخ وتوسعوا فيه، وأجازوا البداء على الله تعالى، فهم مع اليهود على طرفي نقيض، واستدلوا على ذلك بأقوال نسبوها إلى علي رضي الله عنه زورا وبهتانا، وبقوله تعالى: (**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**) [الرعد: 39] على معنى أنه يظهر له المحو والإثبات.

وذلك إغراق في الضلال، وتحريف للقرآن. فإن معنى الآية: ينسخ الله ما يستوصب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، وكل من المحو والإثبات موجود في كثير من الحالات، كمحو السيئات بالحسنات (**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**) [هود: 114] ومحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة وإثبات إيمانهم وطاعتهم.

ولا يلزم من ذلك الظهور بعد الخفاء، بل يفعل الله هذا مع علمه به قبل كونه.

3. **أبو مسلم الاصفهاني**:[1] وهو يجوز النسخ عقلا ويمنع وقوعه شرعا، وقيل يمنعه في القرآن خاصة محتجا بقوله تعالى: (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) [فصلت: 42] على معنى أن أحكامه لا تبطل أبدا. ويحمل آيات النسخ على التخصيص.

ورد عليه بان معنى الآية أن القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله.

4. **وجمهور العلماء**: على جواز النسخ عقلا ووقوعه شرعا لأدلة:

✓ لأن أفعال الله لا تعلل بالأغراض، فله أن يأمر بالشيء في وقت وينسخه بالنهي عنه في وقت، وهو اعلم بمصالح العباد.

1هو محمد بن بحر، المشهور بأبي مسلم الأصفهاني، معتزلي، من كبار المفسرين. اهم كتبه "جامع التأويل" في التفسير، توفي سنة 322 هجرية.

✓ ولأن نصوص الكتاب والسنة دالة على جواز النسخ ووقعه:

أ. قال تعالى: (**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ**) [النحل: 101] وقال: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**) [البقرة: 106].

ب. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه: قال: قال عمر رضي الله عنه: أقرؤنا أبي، وأقضانا، وإنا لندع من قول أبي، وذاك أن أبيا يقول: لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله عز وجل: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا**) [البقرة: 106].

3- أقسام النسخ وأنواعه وحكمه:

أقسام النسخ:

والنسخ أربعة أقسام:

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن: وهذا القسم متفق على جوازه ووقعه من القائلين بالنسخ، فآية الاعتداد بالحول مثلا نسخت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرا، كما سيأتي في الأمثلة.

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة: وتحت هذا نوعان:

أ. **نسخ القرآن بالسنة الآحادية**. والجمهور على عدم جوازه. لان القرآن متواتر يفيد اليقين، والآحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب. **ونسخ القرآن بالسنة المتواترة**. وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية، لأن الكل وحي. قال تعالى: (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم: 03 _ 04] وقال: (**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**) [النحل: 44] والنسخ نوع من البيان _ ومنعه الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في الرواية الأخر، لقوله تعالى: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**) [البقرة: 106] والسنة ليس خيرا من القرآن ولا مثله.

القسم الثالث: نسخ السنة بالقرآن، ويجيزه الجمهور، فالتوجه إلى بيت المقدس كان ثابتا بالسنة، وليس من القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بالقرآن في قوله: (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**) [البقرة:

144][1] ومنع هذا القسم الشافعي في ‘حدى روايتيه، وقال: "وحيث وقع بالسنة فمعها قرآن، أو بالقرآن فمعه سنة عاضده تبين توافق الكتاب والسنة".[2]

القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة: وتحت هذا أربعة أنواع:

1) نسخ متواترة بمتواترة.

2) ونسخ آحاد بآحاد.

3) ونسخ آحاد بمتواترة.

4) ونسخ متواترة بآحاد.

والثلاثة الأولى جائزة، أما النوع الرابع ففيه الخلاف الوارد في نسخ القرآن بالسنة الآحادية، والجمهور على عدم جوازه.

أما نسخ كل من الإجماع والقياس والنسخ بهما فالصحيح عدم جوازه.

أنواع النسخ في القرآن:

والنسخ في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم معا، ومثاله: ما رواه مسلم وغيره عن عائشة قالت: "كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخن بخمس معلومات" فتوفي رسول الله صلى الله علسه وسلم "وهن مما يقرأ من القرآن" وقولها: "وهن مما يقرأ في القرآن" ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك، فإنه غير موجود في المصحف العثماني. وأجيب بأن المراد قارب الوفاة.[3]

والأزهر أن التلاوة نسخت ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتوفي وبعض الناس يقرؤها.

1أخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت: "كان عاشوراء صياما، فلما أنزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر".

2أنظر الإتقان صفحة 21 ج 2.

3هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري، احد فقهاء أشبيلية وعلمائها رحل إلى المشرق، ثم عاد إلى المغرب، وتوفي سنة 544 هـ.

وحكى القاضي أبو بكر في "الانتصار" عن قوم إنكار هذا القسم لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها تفيد القطع، ولكنها ظنية.

ويجاب على ذلك بان ثبوت النسخ شيء، وثبوت نزول القرآن شيء آخر، فثبوت النسخ يكفي فيه الدليل الظني بخبر الآحاد، أما ثبوت نزول القرآن فهو الذي يشترط فيه الدليل الظني بخبر الآحاد، أما ثبوت نزول القرآن فهو الذي يشترط فيه الدليل القطعي بالخبر المتواتر، والذي معنا ثبوت النسخ لا ثبوت القرآن فيكفي فيه أخبار الآحاد. ولو قيل إن هذه القراءة لم تثبت بالتواتر لصح ذلك.

النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة: ومثاله: نسخ حكم آية العدة بالحول مع بقاء تلاوتها ــ وهذا النوع هو الذي ألفت فيه الكتب وذكر المؤلفون فيه الآيات المتعددة. والتحقيق أنها قليلة، كما بين ذلك القاضي أبو بكر بن العربي.[1]

وقد يقال ما الحكمة فر رفع الحكم وبقاء التلاوة؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه يتلى كذلك لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه، فتركت التلاوة لهذه الحكمة.

وثانيهما: أن النسخ غالبا يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيرا بالنعمة في رفع المشقة.

وأما حكمة النسخ قبل العمل، كالصدقة عند النجوى، فيثاب على الإيمان به، وعلى نية طاعة الأمر.

النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم: وقد ذكروا له أمثلة كثيرة، منها آية الرجم "الشيخ والشيخة إذا زنيا فرجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم" ومنها ما روي في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الذي قتلوا وقنت الرسول يدعو على قاتليهم، قال أنس: ونزل فيهم قرن قرأناه حتى رفع "ان بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، ثم نسخت تلاوته ــ وبعض اهل العلم ينكر هذا النوع من النسخ. لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد قال ابن الحصار: "إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت كذا، قال: وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم

1رواه البخاري تعليقا عن عمر.

التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر، قال ولا يعتمد في النسخ على قول عوام المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صريح، ولا معارضة بينه، لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم، والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد، قال: والناس في هذا بين طرفي نقيض، فمن قائل لا يقبل في النسخ أخبار الآحاد الدول، ومن متساهل يكتفي فيه يقول مفسر أو مجتهد، والصواب خلاف قولهما".[1]

وقد يقال: أن الآية والحكم المستفاد منها متلازمتان، لأن الآية دليل على الحكم. فإذا نسخت الآية نسخ حكمها. وإلا وقع الناس في لبس.

ويجاب عن ذلك بان هذا التلازم يسلم لو لم ينصب الشارع دليلا على نسخ التلاوة، وعلى إبقاء الحكم، أما وقد نصب الدليل على نسخ التلاوة وحدها، وعلى إبقاء الحكم واستمراره فإن التلازم يكون باطلا، وينتفى اللبس بهذا الدليل الشرعي الذي يدل على نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

حكمة النسخ:

1. مراعاة مصالح العباد.
2. تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس.
3. إبتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه.
4. إرادة الخير للأمة والتيسير عليها، لان النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر.

4- النسخ إلى بدل وإلى غير بدل:

والنسخ يكون إلى بدل وإلى غير بدل ــ والنسخ إلى بدل: إما إلى بدل أخف، وإما إلى بدل مماثل، وإما إلى بدل أثقل:

1أنظر الإتقان، صفحة 24 ج 2.

1. **فالنسخ إلى غير بدل:** كنسخ الصدقة بين يدي نجوى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**) [المجادلة: 12] نسخت بقوله: (**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ**) [المجادلة: 13].

وأنكر بعض المعتزلية والظاهرية ذلك، وقالوا: إن النسخ بغير بدل لا يجوز شرعا، لأن الله تعالى يقول: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**) [البقرة: 106] حيث أفادت الآية أنه لا بد أن يؤتى مكان الحكم المنسوخ بحكم آخر خير منه او مثله.

ويجاب عن ذلك بان الله تعالى إذا نسخ حكم الآية بغير بدل فإن هذا يكون بمقتضى حمته، رعاية لمصلحة عباده، فيكون عدم الحكم خيرا من ذلك الحكم المنسوخ في نفعه للناس، ويصح حينئذ أن يقال: إن الله نسخ حكم الآية السابقة بما هو خير منها حيث كان عدم الحكم خيرا للناس.

2. **والنسخ إلى بدل أخف:** يمثلون له بقوله تعالى: (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**) [البقرة: 187] الآية فهي ناسخة لقوله: (**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**) [البقرة: 183] لأن مقتضاها الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء إذا صلوا العتمة أو ناموا إلى الليلة التالية، كما ذكروا ذلك، فقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: أنزلت (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**) كتب عليهم إذا صلى أحدهم العتمة أو نام حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى مثلها، وروى مثله أحمد والحاكم وغيرهما، وفيه "فأنزل الله عز وجل: (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**) الآية".

3. **النسخ إلى بدل مماثل:** كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة في قوله: (**تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ**) [البقرة: 144].

4. **والنسخ إلى بدل أثقل:** كنسخ الحبس في البيوت في قوله: (**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ**) [النساء: 15] الآية، بالجلد في قوله: (**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي**) [النور: 02] الآية.

أو الرجم في قوله: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة...".[1]

شبه النسخ:

وللناسخ والمنسوخ أمثلة كثيرة، إلا أن العلماء في هذا:

أ. منهم المكثر الذي اشتبه عليه الأمر فأدخل في النسخ ما ليس منه.

ب. ومنهم المتحري الذي يعتمد على النقل الصحيح في النسخ.

ومنشأ الاشتباه عند المكثرين أمور أهمها:

1. اعتبار التخصيص نسخا (انظر مبحث العام والخاص).
2. اعتبار البيان نسخا (انظر مبحث المطلب والمقيد الآتي).
3. اعتبار ما شرع لسبب ثم زال السبب من المنسوخ، كالحث على الصبر وتحمل أذى الكفار في مبدأ الدعوة حيث الضعف القلة، قالوا إنه منسوخ بآيات القتال، والحقيقة في مبدأ الدعوة حين الضعف القلة، قالوا إنه منسوخ ويكون لحالة الضعف والقلة. وإذا وجدت الكثرة والقوة وجب الدفاع عن العقيدة بالقتال، وهو الحكم الثاني.
4. اعتبار ما أبطله الإسلام من أمر الجاهلية أو من شرائع الأمم السابقة نسخا: كتحديد عدد الزوجات بأربع، ومشروعية القصاص والدية، وقد كان عند بني إسرائيل القصاص فقط كما قال ابن عباس رواه البخاري،[2] ومثل هذا ليس نسخا، وإنما هو رفع للبراءة الأصلية.

أمثلة للنسخ:

---

1 اعترض بعض العلماء على هذا النوع محتجين بقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) وقوله (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) ويجاب عن ذلك بأن البدل إلى أثقل يكون ميسرا على المكلفين دون مشقة أو إرهاق مع ما فيه زيادة النفع وعظيم الثواب، وثقله وصف له بالنسبة إلى ما قبله.

2أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن الدية فيهم، فقال الله لهذه الأمة (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى) [البقرة: 187] إلى قوله: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ) فالعفو أن تقبل الدية في العمد (فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) مما كتب على من كان قبلكم (فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ) قيل بعد قبول الدية (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

وقد ذكر السيوطي في الإتقان إحدى وعشرين آية اعتبرها من قبيل النسخ تذكر منها ما يأتي ونعلق عليه:

1. قله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**) [البقرة: 115] منسوخة بقوله: (**تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ**) [البقرة: 144] وقد قيل ــ وهو الحق ــ إن الأولى غير منسوخة لأنها في صلاة التطوع في السفر على الراحلة وكذا في حال الخوف والاضطرار، وحكمها باق، كما في الصحيحين، والثانية في الصلوات الخمس، والصحيح أنها ناسخة لما ثبت في السنة من استقبال بيت المقدس.

2. قوله تعالى: (**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**) [البقرة: 180] قيل منسوخة بآية المواريث، وقيل بحديث "إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث".[1]

3. قوله: (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**) [البقرة: 184] نسخت بقوله: (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) [البقرة: 185] لما في الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع أنه قال: لما نزلت (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**) كان من أراد أن يفطر يفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها".

وذهب ابن عباس إلى أنها محكمة غير منسوخة: روى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**) قال ابن عباس: ليست بمنسوخة. هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان كل يوم مسكينا وليس معنى (يطيقونه) على هذا يستطيعونه، وإنما معناه يتحملونه بمشقة وكلفة.

وبعضهم جعل الكلام على تقدير لا النافية، او وعلى الذين لا يطيقونه.

4. قوله: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**) [البقرة: 217] نسخت بقوله: (**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**) [التوبة: 36] وقيل يحمل عموم الأمر بالقتال على غير الأشهر الحرم فلا نسخ.

1رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

5. قوله: (**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ**) [البقرة: 240] نسخت بقوله: (**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**) [البقرة: 234].

وقيل أن الآية الأولى محكمة لانها في مقام الوصية للزوجة إذا لم يخرج ولم تتزوج، أما الثانية فهي لبيان العدة، ولا تنافي بينهما.

6. قوله: (**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**) [البقرة: 284] نسخت بقوله: (**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**) [البقرة: 286].

7. قوله: (**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ**) [النساء: 08] نسخت بآية المواريث وقيل ــ وهو الصواب ــ إنها غير منسوخة، وحكمها باق على الندب.

8. قوله: (**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا**) [النساء: 15 ــ 16] نسختا بآية الجلد للبكر في سورة النور (**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ**) [النور: 02] وبالجلد للبكر وبالرجم للثيب الوارد في السنة: "... البكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب جلد مائة والرجم".[1]

9. قوله: (**إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**) [الأنفال: 65] نسخت بقوله: (**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**) [الأنفال: 66].

10. قوله: (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا**) [التوبة: 41] نسخت بقوله: (**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى**) [التوبة: 91] الآية، بقوله: (**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً**) [التوبة: 122] الآية.

وقيل إنه من باب التخصيص لا النسخ. وقد مر ذكر أمثلة أخرى.

1رواه مسلم من حديث عبادة بن الصامت.

أسئلة للفهم

1- ما معنى النسخ وما هي شروطه

2- أذكر أهمية النسخ وضرورة العلم به

3- بين أدلة ثبوت النسخ في القرآن

4- حدد أنواع النسخ مع التمثيل

5- ما معنى النسخ الى بدل والى غير بدل، هات أمثلة

الدرس الرابع عشر:
الأمثال في القرآن

1. تعريف المثل وأنواعه
2. فوائد المثل وأمثلته

الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرابعة إذا صيغت في قالب حسن يقربها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني، والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان، بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس. وقياس النظير على النظير، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، وامتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه.

ومن العلماء من أفراد الأمثال في القرآن بالتأليف، ومنهم من عقد لها بابا في كتاب من كتبه، فأفردها بالتأليف أبو الحسن المارودي،[1] وعقد لها باب السيوطي في الإتقان[2] وابن القيم في كتاب أعلام الموقعين. حيث تتبع أمثال القرآن التي تضمنت تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم ــ فبلغت بضعة وأربعين مثلا.

وذكر الله في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال **(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** [الحشر: 21] **(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)** [العنكبوت: 43] **(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)** [الزمر: 27] وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أنزل القرآن آمرا وزاجرا، وسنة خالية، ومثلا مضروبا".[3]

وكما عني العلماء بأمثال القرآن فإنهم عنوا كذلك بالأمثال النبوية. وعقد لها أبو عيسى الترمذي بابا في جامعه أورد فيه أربعين حديثا. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: لم أر من أهل الحديث من صنف فأفرد للأمثال باب غير أبي عيسى، ولله دره، لقد فتح بابا، وبنى قصرا أو دارا، ولكنه اختلط خطا صغيرا. فنحن نقنع به، ونشكره عليه".

1هو أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي، صاحب كتاب "أدب الدنيا والدين" وكتاب "الأحكام السلطانية" توفي سنة 450 هـ.

2أنظر الإتقان، صفحة 131 ج 2.

3رواه الترمذي.

1- تعريف المثل وأنواعه:

تعريف المثل:

والأمثال: جمع مثل، والمثل والمثيل: كالشبه والشبه والشبيه لفظا ومعنى.

والمثل في الأدب: قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده، مثل "رب رمية من غير رام" أي رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ، وأول من قال هذا الحكم بن يغرث النقري، يصرب للمخطئ يصيب أحيانا، وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به.

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن. وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات. كقوله تعالى: **(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ)** [محمد: 15]:[1] أي قصتها وصفتها التي يتعجب منها.

وأشار الزمخشري إلى هذه المعاني الثلاثة في كشافه فقال: "والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل، ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه. ثم قال: وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة.

وهناك معنى رابع ذهب إليه علماء البيان في تعريف المثل فهو عندهم: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله. وأصله الاستعارة التمثيلية. كقولك للمتردد في فعل أمر: مالي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى.

وقيل في ضابط المثل كذلك: إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا. والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا.

وإذا نظرنا إلى أمثال القرآن التي يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة، أم بطريق التشبيه الصريح؟ أو الآيات الدالة

1انظر بلاغة القرآن للأستاذ محمد الخضر حسين صفحة 26.

على معنى رائع بإيجاز، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه، فإن الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل.

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفو في الأمثال، إذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن ما ليس بإستعارة وما لم يفش استعماله. ولذا كان الضابط الآخير أليق بتعريف المثل في القرآن: **فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا.**

فابن القيم يقول في أمثال القرآن: تشبيه بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو احد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر. ويسوق الأمثلة: فتجد أكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى: (**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**) [يونس: 24] ومنها ما يجيء على طريقة التشبيه الضمني، كقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا**) [الحجرات: 12] إذ ليس فيه تشبيه صريح. ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة، كقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**) [الحج: 73] فقوله: (**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا**) قد سماه الله مثلا وليس فيه استعارة ولا تشبيه.

أنواع الأمثال في القرآن:

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:

1. الأمثال المصرحة.
2. والأمثال الكامنة.
3. والأمثال المرسلة.

النوع الأول: _ الأمثال المصرحة: _ وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه.
وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي !

أ. قوله تعالى في حق المنافقين: **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)** _ إلى قوله _ **(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** [البقرة: 17 _ 20].

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلا ناريا في قوله: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)** لما في النار من مادة النور، ومثلا مائيا في قوله: **(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ)** لما في الماء من مادة الحياة، وقد نزل الوحي من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها. وذكر الله حظ المنافقين في الحالين. فهم بمنزلة من استوقد نارا للإضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم، فذهب الله بما في النار من الإضاءة (ذهب الله بنورهم) وأبقى ما فيها من الإحراق، وهذا مثلهم الناري.

وذكر مثلهم المائي فشبههم بحال من أصابه مطر في ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع إصبعيه في أدنيه وغمض عينه خوفا من صاعقة تصيبه، لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواقع.

ب. وذكر الله المثلين: المائي والناري _ في سورة الرعد للحق والباطل. فقال تعالى: **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)** [الرعد: 17].

شبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياه القلوب بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جرى في الأودية احتمل زبدا وغثاء، فكذلك الهدى والعلم إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها، وهذا هو المثل المائي في قوله: **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ)** وهكذا يضرب الله الحق والباطل.

وذكر المثل الناري في قوله: (**وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ**) فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سكبها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيذهب جفاء. فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث.

النوع الثاني من الأمثال: الأمثال الكامنة _ وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها. ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

1. ما في معنى قولهم (خير الأمور الوسط).

أ. قوله تعالى في البقرة (**لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**) [البقرة: 68].

ب. قوله تعالى في النفقة (**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**) [الفرقان: 67].

ج. قوله تعالى في الصلاة (**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**) [الإسراء: 110].

د. قوله تعالى في الإنفاق (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**) [الإسراء: 29].

2. ما في معنى قولهم (ليس الخبر كالمعاينة).

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام (**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**) [البقرة: 260].

3. ما في معنى قولهم (كما تدين تدان).

قوله تعالى: (**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**) [النساء: 123].

4. ما في معنى (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين).

قوله تعالى على لسان يعقوب (**قَالَ هَلْ آَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ**) [يوسف: 64].

النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن: وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه. فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

1. ﴿**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾ [يوسف: 51].
2. ﴿**لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**﴾ [النجم: 57].
3. ﴿**قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾ [يوسف: 41].
4. ﴿**أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾ [هود: 81].
5. ﴿**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ**﴾ [الأنعام: 67].
6. ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: 43].
7. ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ [الإسراء: 84].
8. ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ [البقرة: 216].
9. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر: 38].
10. ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: 60].
11. ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [المؤمنون: 53].
12. ﴿**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج: 83].
13. ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ [الصافات: 61].
14. ﴿**لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**﴾ [المائدة: 100].
15. ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: 249].
16. ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾ [الحشر: 14].

واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل، ما حكم استعماله استعمال الأمثال؟

فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن، قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ "جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة، وذلك غير جائز، لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه".

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول: **(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)** أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواه إلى باطله فيقول: **(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)** والإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح.[1]

2- فوائد المثل وأمثلته:

فوائد الأمثال:

1. الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى: **(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا)** [البقرة: 264].

2. وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)** [البقرة: 275].

3. ويضرب المثل للترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس، كما ضرب الله مثلا لحال النفق في سبيل الله حيث يعود عليه الإنفاق بخير كثير، فقال تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** [البقرة: 261].

4. ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، كقوله تعالى في النهي عن الغيبة **(وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)** [الحجرات: 12].

---

1 بلاغة القرآن صفحة 33.

5. ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة (**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**) [الفتح: 29] وكذلك حال الصحابة فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلا، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم. وامتلأت القلوب إعجابا بعظمتهم.

6. ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستقبحها الناس، كما ضرب الله مثلا لحال من أتاه الله كتابه، فتنكب الطريق عن العمل به، وانحدر في الدنايا منغمسا. فقال تعالى: (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) [الأعراف: 175 _ 176].

7. والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، قال تعالى: (**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) [الزمر: 27] وقال: (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**) [العنكبوت: 43] وضربها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه، واستعان بها الداعون إلى الله كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون، ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير، في المدح أو الذم.

ضرب الأمثال بالقرآن:

جرت عادة أهل الأدب أن يسوقوا الأمثلة في مواطن تشبه الأحوال التي قيلت فيها، وإذا صح هذا في أقوال الناس التي جرت مجرى المثل، فإن العلماء يكرهون ضرب الأمثال بالقرآن، ولا يرون أن يتلو الإنسان آية من آيات الأمثال في كتاب الله عند شيء يعرض من أمور الدنيا، حفاظا على روعة القرآن، ومكانته في نفوس المؤمنين قال أبو عبيد: "وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بحاجته، فيأتيه من غير طلب فيقول كالمازح (**جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**) [طه: 40] فهذا من الاستخفاف

بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب الزهري: لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو عبيد: يقول: لا تجعل لهما نظيرا من القول ولا الفعل.

أسئلة للفهم

1- ما مفهوم الامثال في القرآن

2- ما هي أنواع الامثال في القرآن

3- ماهي فوائد الامثال في القرآن

4- ما هو دور الامثال في التربية والتعليم

5- أذكر 5 أمثلة عن المثل في القرآن

ملحق:

إمتحانات وإجابات نموذجية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المدة: 90 دقيقة
المستوى: سنة أولى جذع مشترك
الاسم:
اللقب:
الفوج:

الامتحان الأول في مقياس علوم القرآن

أجب بدقة وإيجاز:

-1-عرف القرآن تعريفاً اصطلاحياً جامعاً ثم بين حِكَم نزول القرآن منجماً (حِكَم تخص القرآن-الرسول-الناس). (5,5)

- تعريف القرآن:

- حِكَم تخص القرآن:	- حِكَم تخص الرسول:	- حِكَم تخص الناس:
-	-	-
-	-	-
-	-	-

-2- بين الصواب من الخطأ وصحح الخطأ ان وجد: (5,5)

- الوحي ظاهرة مسموعة غير مرئية خاصة بالنبي وحده.
- الحديث النبوي وحي باللفظ والمعنى وكذلك الحديث القدسي.
- نزل القرآن في أغلبه يقظة وبعضه مناماً.
- دون القرآن في عهد الرسول في مصحف واحد.
- تسمية القرآن بالمصحف لم يكن إلا في زمن عثمان بن عفان.
- سبب نزول سورة الفيل قصة أبرهة وهدمه للكعبة.
- إذا كان السبب خاصاً ونزلت الآية بصيغة العموم فالعبرة بخصوص السبب عند الجمهور.
- ترتيب السور والآيات توقيفي وليس توفيقياً.
- كل نظرية علمية صحيحة هي ثمرة لدعوة القرآن إلى إعمال العقل وحسن التفكير.
- أبطل الباقلاني ما ذهب إليه النظام شيخ الجاحظ أن إعجاز القرآن كان بالصَّرْفة.

-3- بين فوائد العلم بالمكي والمدني وفوائد العلم بأول ما نزل وآخر ما نزل. (5,5)

أ- فوائد العلم بالمكي والمدني:

-
-
-

ب- فوائد العلم بأول ما نزل وآخر ما نزل:

-
-
-

ملاحظة: لا تُقبَل الإجابة على ظهر الورقة.

مُوَفَّقُونَ

أستاذ المقياس: الدكتور شنيح بن يوسف

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المدة: 90 دقيقة
المستوى: سنة أولى جذع مشترك
الاسم:
اللقب:
الفوج:

النموذجي المصحح

الامتحان الأول في مقياس علوم القرآن

أجب بدقة وإيجاز:

-1-عرف القرآن تعريفاً اصطلاحياً جامعاً ثم بين حِكَم نزول القرآن منجماً (حِكَم تخص القرآن-الرسول-الناس). (5,5)

1 - تعريف القرآن: هو كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ باللفظ العربي بواسطة جبريل المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس.

- حِكَم تخص القرآن: 1- التدرج والإعجاز 0,5
- 0,5 - بيان المرتبة العلية للقرآن
- 0,5 - أولوية الوحي
- 0,5 - التدرج في التشريع.

- حِكَم تخص الرسول:
- 0,5 تثبيت فؤاد الرسول ﷺ
- 0,5 تيسير حفظ القرآن للرسول

- حِكَم تخص الناس:
- 0,5 - نوع الإلزام والإقناع.
- 0,5 - ربط المسلمين بالمصدر التشريعي
- 0,5 - رفع الضيق والحرج التشريعي

-2- بين الصواب من الخطأ وصحح الخطأ ان وجد: (8,5)

1 - الوحي ظاهرة معمومة غير مرئية ومسموعة خاصة بالنبي وحده. خطأ. الوحي ظاهرة مرئية ومسموعة خاصة بالنبي وحده.

1 - الحديث النبوي وحي باللفظ والمعنى وكذلك الحديث القدسي. خطأ. الحديث النبوي وحي بالمعنى واللفظ للرسول وكذلك الحديث القدسي.

1 - نزل القرآن في أغلبه يقظة وبعضه مناما. خطأ. نزل القرآن كله يقظة.

1 - دون القرآن في عهد الرسول في مصحف واحد. خطأ. لم يُدوَّن القرآن في مصحف واحد لأنه كان محفوظا والتنزيل.

1 - تسمية القرآن بالمصحف لم يكن إلا في زمن عثمان بن عفان. خطأ. حدث ذلك في زمن أبي بكر الصديق.

1 - سبب نزول سورة الفيل قصة أبرهة وهدمه للكعبة. خطأ. لما حدثت قصة أبرهة الأشرم لم يكن هناك قرآن ينزل أصلا.

1 - إذا كان السبب خاصاً ونزلت الآية بصيغة العموم فالعبرة بخصوص السبب عند الجمهور. خطأ. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

0,5 - ترتيب السور والآيات توقيفي وليس توفيقيا. صحيح.

0,5 - كل نظرية علمية صحيحة هي ثمرة لدعوة القرآن إلى إعمال العقل وحسن التفكير. صحيح

0,5 - أبطل الباقلاني ما ذهب إليه النظام شيخ الجاحظ أن إعجاز القرآن كان بالصرفة. صحيح.

-3- بين فوائد العلم بالمكي والمدني وفوائد العلم بأول ما نزل وآخر ما نزل. (6)

أ- فوائد العلم بالمكي والمدني:

1 - الاستعانة به على تفسير القرآن وفهم الخطاب القرآني.

1 - تذوق أساليب القرآن فإن لكل مقام مقال، فالقرآن المكي له أسلوبه والمدني كذلك.

1 - الوقوف على تاريخ الدعوة الإسلامية وسيرة الرسول من خلال أحداث العهد المكي والعهد المدني.

ب- فوائد العلم بأول ما نزل وآخر ما نزل:

1 - بيان العناية الفائقة التي حظي بها القرآن صيانة وضبطا من التحريف والتزييف.

1 - إدراك أسرار التشريع في معرفة تاريخ القرآن وتدرجه في علاج النفوس نحو الكمال وتنظيم شؤون الحياة الكريمة...

1 - معرفة الناسخ والمنسوخ.

ملاحظة: لا تقبل الإجابة على ظهر الورقة.

موفقون

أستاذ المقياس: الدكتور شتيح بن يوسف

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

- المدة : 1h30
- المستوى : سنة أولى جذع مشترك
- الاسم :
- اللقب :
- الفوج :

الإجابة النموذجية

الامتحان الأول في مقياس علوم القرآن

أجب بدقة وإيجاز :

① عرّف القرآن تعريفا إصطلاحيا جامعا وبيّن حكم نزول القرآن منجما /6 نقاط/

- تعريف القرآن اصطلاحا : هو كلام الله المعجز المنزل على محمد (ص) باللفظ العربي بواسطة جبريل المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس .

- حكم نزول القرآن منجما :

1. حكم نحض القرآن
   - التحدي والإعجاز
   - بيان المعجزة الخالدة للقرآن
   - أولوية الوحي
   - التدرج في الأحكام التشريعية
2. حكم نحض الرسول
   - تثبيت فؤاد الرسول
   - تيسير حفظ القرآن
3. حكم نحض الناس
   - قوة الإلزام والإقناع
   - ربط المسلمين بالمصدر التشريعي
   - رفع الحرج والضيق التشريعي

② بيّن الصواب والخطأ وصحح الخطأ إن وجد /10 نقاط/

- الوحي الظاهرة مسموعة غير مرئية خاصة بالنبي وحده . خطأ . الوحي ظاهرة مرئية ومسموعة خاصة بالنبي وحده .
- الحديث النبوي وحي باللفظ والمعنى . خطأ . الحديث النبوي وحي بالمعنى واللفظ من الرسول .
- لم ينزل القرآن أغلبه بمكة وبعضه مدنيا . خطأ . نزل القرآن كله بمكة ولم ينزل منه شيء مدنيا .
- دُوِّن القرآن في عهد الرسول في مصحف واحد . خطأ . لم يدوّن في مصحف واحد لأنه لا يزال ينزل .
- تسمية القرآن بالمصحف لم يكن إلا في زمن عثمان بن عفان . خطأ . كان في زمن أبي بكر الصديق .
- ترتيب السور والآيات توقيفي ولسبب توقفنا صحيح .
- سبب نزول سورة الفيل قصة أبرهة في هدم الكعبة . خطأ . قصة أبرهة لم يكن قرآن ينزل أصلا .
- إذا كان السبب خاصا ونزلت الآية بصيغة العموم فالعبرة بخصوص السبب عند الجمهور خطأ . العبرة بعموم اللفظ
- كل نظرية علمية محببة تثري دعوة القرآن إلى إعمال العقل وحسن التفكير صحيح
- أبطل المبادئ ما ذهب إليه النظام يشجع الجاحظ أن إعجاز القرآن كان بالصرفة . صحيح .

③ بيّن فوائد العلم بالمكي والمدني ، وفوائد العلم بأول ما نزل وآخر ما نزل /4 نقاط/

④ فوائد العلم بالمكي والمدني :

1. الاستعانة به على تفسير القرآن وفهم الخطاب القرآني
2. تذوق أساليب القرآن فإن لكل مقام مقال فالمكي له أسلوبه والمدني له أسلوبه .
3. الوقوف على تاريخ الدعوة الإسلامية وسيرة الرسول من خلال أحداث العهد المكي والعهد المدني .

⑤ فوائد العلم بأول ما نزل وآخر ما نزل :

1. بيان العناية الفائقة التي حظي بها القرآن صيانة وضبطا من التحريف والتزييف
2. إدراك أسرار التشريع في مرحلة تاريخ القرآن ومدى تدرجه في علاج النفوس نحو الكمال وتنظيم شؤون الحياة الكريمة الراقية .
3. تمييز الناسخ من المنسوخ في القرآن .

الملاحظة : لا تقبل الإجابة على ظهر الورقة .

أستاذ المادة :
الدكتور منتيج بن يوسف

موفقون .

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

التوقيت : 10 - 11.30
القاعة:
المدرج : حقوق 1 ـ ع

التاريخ : 19/01/23
المدة : 01سا
المستوى : سنة أولى جذع مشترك
اللقب :
الاسم :
الفوج :

الإمتحان الأول في مادة علوم القرآن

أجب بدقة وايجاز :

1 – أذكر أسماء القران وأوصافه ولا تخلط بينهما . (6 نقاط) .

- الأسماء :
- الصفات :

2- بين الصواب من الخطأ وصحح الخطأ إن وجد : (10 نقاط)

- الحديث القدسي : يُرْوَى مضافا إلى الرسول (ص) لأنه يُخبر عن الله .
- الكَلاَلَة هي طعام كانت العرب تطعمه صبيانها .
- ترتيب السور والآيات توقيفي .
- يطلق جمع القرآن ويراد به الحفظ فقط .
- قوله تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) فيها حذف الفاعل.
- الأصل أن نلتمس لكل أية سبب نزولها .
- صيغة سبب النزول لا تكون إلا صريحة في السببية .
- عدد السور المكية 80 سورة .
- حدد النبي (ص) السور المكية والمدنية قبل وفاته .
- يتضمن القرآن بعض النظريات العلمية أبهرت العَالَم .

3- كيف بَرَّر ابو بكر البَاقِلاَّنِي في كتابه " الإنتصار " كثرة الروايات واختلافها في آخر ما نزل من القرآن . (4 نقاط) .

مُوَفَّقُـــــــــونَ

أستاذة المقياس / الدكتور شنوح بن يوسف

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

التوقيت : 10 - 11.30
القاعة: ـــ
المدرج : حقوق 1 ـ ع

التاريخ : 2019/01/29
المدة : 01سا30د
المستوى : سنة أولى جذع مشترك
اللقب :
الاسم :
الفوج :

الإمتحان الأول في مادة علوم القرآن

الإجابة النموذجية

أجب بدقة وإيجاز :

1 – أذكر أسماء القرآن وأوصافه ولا تخلط بينهما . (7 نقاط) .

1,5- الأسماء : القرآن - الكتاب - الذكر - الفرقان - الكلام - الهدى .

1,5- الأوصاف : النور - الشفاء - الموعظة - المبارك - المبين - البشرى - عزيز - المجيد - مبشر - نذير ...

2- بين الصواب من الخطأ وصحح الخطأ إن وجد : (7 نقاط)

1 - الحديث القدسي : يُروَى مضافا إلى الرسول (ص) لأنه يُخبر عن الله . خطأ . يُروى مضافا إلى الله والرسول (ص) يخبر عن الله كقوله . قال رسول الله فيما يرويه عن ربه (يسبني ابن آدم يقول ...)

1 - الكَلالَة هي طعام كانت العرب تطعمه صبيانها خطأ هي الميت الذي لا ولد له ولا والد وهي مسألة تتعلق بالميراث كقوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) النساء

1 - ترتيب السور والآيات توقيفي خطأ . ترتيب الآيات توقيفي بإجماع . وترتيب السور قيل توقيفي وقيل توقيفي اجتهادي من الصحابة وقيل بعض السور توقيفي والبعض توقيفي .

1 - يطلق جمع القرآن ويراد به الحفظ فقط خطأ يراد بالحفظ أيضا كتابة القرآن كله مرتب السور والآيات أو مفرقا .

1 - قوله تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) فيها حذف الفاعل. خطأ . فيها تأخير الفاعل وهو موسى تشويقا ورعاية للمناسبة لأن جملة سورة طه جاءت جملا ياء منصورة .

1 - الأصل أن نلتمس لكل آية سبب نزولها . خطأ . نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء من غير سبب نزول ، وقسم نزل بسبب حادثة أو سؤال ...

1 - صيغة سبب النزول لا تكون إلا صريحة في السببية . خطأ . قد تكون صريحة وقد تكون محتملة .

1 - عدد السور المكية 80 سورة . خطأ : عددها 82 سورة .

1 - حدد النبي (ص) السور المكية والمدنية قبل وفاته خطأ لم يرد عن الرسول في ذلك قول لأنه لم يُؤمر به إنما يرجع ذلك إلى حفظ الصحابة والتابعين واجتهادهم في تصنيف المكي والمدني

1 - يتضمن القرآن بعض النظريات العلمية أبهرت العالم . خطأ . لا يوجد في القرآن نظريات علمية لأن العلوم تتجدد ويقربها النقص .

3- كيف برّر أبو بكر الباقلاني في كتابه " الإنتصار " كثرة الروايات واختلافها في أكثر ما نزل من القرآن . (4 نقاط) .

0,5- الروايات ليس بعضها رفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

0,5- أقوال الصحابة تفسير اجتهادي أو غلبة ظن .

1- الاحتمال أن كلا من الصحابة روى آخر ما سمعه من الرسول في اليوم الذي مات فيه أو قبل موته

1- يحتمل أن يكون السماع من الرسول قبل موته كان متفاوتا من حيث الزمن .

1- احتمال أن تنزل آية الرجم آخر ما تلاه الرسول من آيات نزلت معها فيؤمر برسم نزل معها بعد رسم تلك الآية فيظن أنها آخر ما نزل في الترتيب .

موفق ـــــــون

أستاذ المقياس / الدكتور شتوح بن يوسف

الامتحان الأول في مقياس علوم القرآن، قسم اللغة والأدب العربي
السنة أولى جذع مشترك

والإجابة النموذجية

أجب بدقة وإيجاز:

1) بيّن أسماء القرآن وأوصافه (6 نقاط)

- الأسماء: القرآن - الكتاب - الذكر - الفرقان - الكلام - الهدى
- الأوصاف: النور - الشفاء - الموعظة - المبارك - المبين - البشير - عزيز - مجيد

2) بيّن الصواب من الخطأ وصحح الخطأ إن وجد (8 نقاط)

- الحديث القدسي يروى مضافا إلى الرسول لأن الله أخبره به، خطأ. يرويه الله والرسول يخبر عن الله.
- الكلالة هي طعام كانت العرب تطعمه ميتها خطأ: الكلالة: الميت الذي لا ولد له ولا والد.
- يطلق جمع القرآن ويراد به الحفظ فقط خطأ، يراد به أيضا الكتابة وهي تتعلق بالجمرات
- ترتيب السور والآيات توقيفي خطأ، ترتيب الآيات توقيفي أو مفرقا
- قوله تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) فيها حذف الفاعل خطأ، فاعل أوجس هو موسى تشويقا
- الأصل أن نزل لكل آية سبب نزولها خطأ، القرآن نزل على قسمين: قسم نزل ابتداء وقسم نزل بسبب
- صيغة سبب النزول لا تكون إلا صريحة خطأ، قد تكون صريحة وقد تكون محتملة
- عدد السور المكية 86 سورة خطأ، 82 سورة
- حدد المدني صلى الله عليه وسلم السور المكية والمدنية قيل وفاته خطأ، لم يرد عن رسول الله ذلك قول لأنه لم يؤمر بذلك إنما يرجع في ذلك إلى حفظ الصحابة والتابعين
- تضمن القرآن بعض النظريات العلمية أثبت العالم خطأ، لا يوجد في القرآن نظريات علمية لأن العلوم تتجدد وتتغير والقرآن ثابت

3) كيف برر الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه الانتصار كثرة الروايات واختلافها في آخر ما نزل من القرآن؟ (4 نقاط)

- الروايات ليس فيها تناقض، ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم
- أقوال الصحابة تفسير اجتهادا أو غلبة الظن
- الاحتمال أن كل واحد من الصحابة روى آخر ما سمعه من الرسول في اليوم الذي مات فيه أو قبل موته
- يحتمل أن يكون السماع من الرسول قبل موته كان متفاوتا من حيث الزمن.
- الاحتمال أن قول آية اليوم هي آخر ما نزل الرسول مع آيات نزلت معها فتؤمر بترتيبها مع ما نزل معها بعد نزول تلك الآية فيظن أنها آخر ما نزل في الترتيب.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الاغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

التاريخ:
القاعة:
المدرج:

المدة: 90 دقيقة
المستوى: سنة أولى جذع مشترك
الاسم:
اللقب:
الفوج:

الامتحان الاستدراكي في مقياس علوم القرآن

أجب عما يلي:

1-عرف ما يلي تعريفا اصطلاحيا:

- علوم القرآن
- الوحي
- الإعجاز القرآني
- القرآن المكي
- القرآن المدني
- سبب النزول

2-أذكر المجالات الثلاث التي تمثل تدرج رسالة الإسلام؟

3-بين الفرق بين جمع أبي بكر الصديق للقرآن وجمع عثمان بن عفان؟

4-أذكر وجوه إعجاز القرآن عند الامام الباقلاني؟

موفقون

أستاذ المقياس: د. شتيح بن يوسف

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الاغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

التاريخ:
القاعة:
المدرج:

المدة: 90 دقيقة
المستوى: سنة أولى جذع مشترك
الاسم:
اللقب:
الفوج:

الامتحان الاستدراكي في مقياس علوم القرآن

إلاجابة النموذجية.

أجب عما يلي:

1-عرف ما يلي تعريفا اصطلاحيا: (7 نقاط)

1,5 علوم القرآن: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول والجمع والترتيب ومعرفة المكي والمدني والناسخ والمنسوخ ...الخ.

1- الوحي: كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه.

1- الإعجاز القرآني: إثبات العجز والقصور وصدق النبي في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن المعارضة

1- القرآن المكي: هو القرآن الذي نزل قبل الهجرة النبوية.

1- القرآن المدني: هو القرآن الذي نزل بعد الهجرة النبوية.

1,5 سبب النزول: هو أن تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنها، أو يسأل الرسول عن شيء فينزل القرآن للبيان والجواب.

2-أذكر المجالات الثلاث التي تمثل تدرج رسالة الإسلام؟ (3 نقاط)

1- التدرج في موضوع الرسالة
1- التدرج في نشر الرسالة
1- التدرج في أساليب تبليغ الرسالة.

3-بين الفرق بين جمع أبي بكر الصديق للقرآن وجمع عثمان بن عفان؟ (4 نقاط)

2- الفرق كان حول الباعث والكيفية: فباعث أبي بكر كان خشية ذهاب القرآن بذهاب القراء والحفظة لما اشتد القتل في القتوحات. وباعث عثمان كان حول كثرة الاختلاف في وجوه القراءة الذي أدى إلى الفتنة والفرقة.

2- وجمع أبي بكر للقرآن كان نقلا لما كان منقوشا من القرآن في صحف واحد مرتب الآيات والسور ما لم تنسخ قراءته مشتملا على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. وجمع عثمان كان على حرف واحد في مصحف واحد..

4-أذكر وجوه إعجاز القرآن عند الامام الباقلاني؟ (4 نقاط)

1- ذكر القصص والمواعظ
1- الاحتجاج والحكم.
1- الأحكام العملية.
1- الإعذار والإنذار.
1- الوعد والوعيد.
1- التبشير والتخويف.
1- الاخلاق الكريمة والشيم الرفيعة.
1- التشريع الحكيم.

موفقون

أستاذ المقياس: د. شتيح بن يوسف

الامتحان الاستدراكي لمقياس علوم القرآن
أجيبوا على ما يلي : والتصحيح النموذجي

① عرّف ما يلي تعريفا اصطلاحيا : (9 نقاط)

علوم القرآن : العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث مدونة أسباب النزول وجمعه وترتيبه ومكيه ومدنيه والوحي : كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه ، ومكيه والمدني والناسخ والمنسوخ وغيرها.

الإعجاز القرآني : إثبات العجز والقصور وإظهار صدق النبي في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن المعارضة

- القرآن المكي : هو القرآن الذي نزل قبل الهجرة

- القرآن المدني : هو القرآن الذي نزل بعد الهجرة

- أسباب النزول : أن تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنها أو يسأل النبي عن شيء فينزل القرآن ببيان

② أذكر المراحل الثلاث التي مثل بها رسالة الإسلام ، (3 نقاط)

1- التدرج في موضوع الرسالة .
2- التدرج في نشر الرسالة
3- التدرج في أساليب تبليغ الرسالة .

③ بيّن الفرق بين جمع أبي بكر الصديق للقرآن وجمع عثمان بن عفان (4 نقاط)

- الفرق كان حول الباعث والكيفية فباعث أبي بكر خشية ذهاب القرآن بذهاب القراء لما استحر القتل في القراء وباعث عثمان كثرة الاختلاف في وجوه القراءة إلى حدّ الفتنة والفرقة.
- جمع أبو بكر القرآن كان نقلا لما كان مفرقا في القرآن في صحف واحدة رتب السور والآيات فيها ترتيبا توقيفيا سالم تنسخ تلاوته مشتملا على جميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وجمع عثمان كان عمل حرفي واحد في صحف واحدة

④ أذكر وجوه إعجاز القرآن عدا البلاغي ؟ (6 نقاط)

- ذكر القصص والمواعظ .
- الإخبار بالمغيبات
- الأحكام
- الإنذار والإعذار
- الوعد والوعيد .
- البشرى والتخويف
- الأخلاق الكريمة
- القيم الرفيعة
- التفسير المأثور ...

خـاتـمة

خاتمة

وفي ختام هذه الدروس أخلص إل جملة من النتائج والملاحظات والتوصيات

1. هنالك ارتباط بين التفسير والإعجاز وبين أسباب النزول والسياق الأدبي ينبغي أن يعمل.
2. تجديد وتحديث الدراسات الأدبية واللغوية للقرآن الكريم لتلبية الحاجات المعاصرة.
3. استجماع القرآن كل مزايا النثر والشعر بأسلوب فذ عجاب يجب استثماره أحسن استثمار.
4. تيسير علوم القرآن لطلبة اللغة والأدب أمر ضروري لفهم النص القرآني فهما عميقا.
5. دراسات القدامى حول القرآن رغم قوتها وشمولها إلا أنها لم تقدم كل شيء حول القرآن، وهذا الذي فسح المجال واسعا أمام أبحاث المعاصرين حول القرآن لتكمل المشوار.
6. غلبة المنهج التاريخي على جل أبحاث القدامى في علوم القرآن لم يفسح السبيل لتصوير الجانب الأدبي الفني.
7. دعوة طلاب الآداب واللغة العربية إلى خدمة الجانب الفني للقرآن وتشجيعهم على اقتحام الدرس النحوي والصوتي والمعجمي والصرفي والبلاغي في القرآن الكريم.
8. إستعمال النقص الذي أصاب بعض العلوم القرآنية التي خط بدايتها القدامى وتوسيع النظر فيها وتأطير البحث فيها كقضايا الإعجاز اللغوي والإعجاز البياني وقضايا الأسلوب مثلا وغيرها.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي.
2. الإتقان للسيوطي.
3. أساس البلاغة، الزمخشري "عجز".
4. أسباب النزول، الواحدي.
5. إعجاز القرآن، للرافعي.
6. أعلام الورى بأعلام الهدى.
7. اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر.
8. الإنتصار لنقل القرآن، الباقلاني.
9. البرهان، الزركشي.
10. البيان في تفسير القرآن، الخوئي.
11. تاريخ القرآن، الزنجاني.
12. تاريخ اليعقوبي.
13. التبيان، للجزائري.
14. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.
15. التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين.
16. تفسير ابن الكثير.
17. تفسير القرطبي.
18. تفسير المنار، السيد رشيد رضا.
19. تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل.
20. تفسير غريب القرآن. ابن قتيبة. تحقيق السيد أحمد صقر.

21. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي.

22. التمهيد، للباقلاني.

23. تنوير المقباس، مطبوع مع الدر المنشور للسيوطي.

24. الحيوان، للجاحظ.

25. الدر المنثور، للسيوطي.

26. السبعة في القراءات لابن مجاهد.

27. سيرة ابن هشام.

28. شرح القصائد السبع.

29. الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس.

30. الصحاح، الفيومي.

31. صحيح البخاري، محمد ابن اسماعيل البخاري.

32. طبقات ابن سعد، ابن سعد.

33. الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصور شاهين.

34. العمدة، لابن رشيق.

35. غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري.

36. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني.

37. الفتنة الكبرى، طه حسين.

38. فضائل القرآن لابن كثير.

39. في ظلال القرآن، سيد قطب.

40. القاموس المحيط، الفيروز أبادي.

41. القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي.

42. الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

43. كتاب الأسماء والصفات، البيهقي.

44. كتاب المصاحف، ابن أبي داود، ومقدمتان في علوم القرآن، ابن عطية.

45. لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي.

46. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان.

47. المحكم في نقط المصحف، أنباه الرواة وأخبار النحويين البصريين.

48. مراتب النحويين، السيوطي.

49. المستدرك، للحاكم.

50. المستصفى، الغزالي.

51. معاني القرآن، للفراء.

52. معجم فقه ابن حزم.

53. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني.

54. مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير.

55. مقدمة ابن خلدون.

56. من روائع القرآن، البوطي، وفيات الأعيان، النحو العربي، مازن المبارك.

57. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني.

58. منجد المقرئين، ابن الجزري.

59. موجز علوم القرآن.د. داود العطار.

60. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسسين الطباطبائي.

61. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز.

62. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري.

63. النهاية لابن الأثير، "قرأ".

فهرس الموضوعات

مقدمة 3

الدرس الأول: علوم القرآن نشأته وتطوره ومؤلفاته 5

الدرس الثاني: القرآن تعريفه وأسماؤه وأوصافه 12

الدرس الثالث: نزول القرآن وظاهرة الوحي 25

الدرس الرابع: نزول القرآن منجما وحِكمه 38

الدرس الخامس: أسباب النزول 49

الدرس السادس: جمع القرآن وتدوينه 59

الدرس السابع: المكي والمدني 78

الدرس الثامن: شكل المصحف وإعجامه 87

الدرس التاسع: القراءات والقراء 93

الدرس العاشر: إعجاز القرآن 106

الدرس الحادي عشر: التفسير والمفسرون 121

الدرس الثاني عشر: القصة في القرآن مفهومها وفوائدها وأثرها في التربية 137

الدرس الثالث عشر: الناسخ والمنسوخ 144

الدرس الرابع عشر: الأمثال في القرآن 158

ملحق: إمتحانات وإجابات نموذجية 168

خاتمة 178

قائمة المصادر والمراجع 180

حقل الكلمات المفتاحية

القرآن، علوم القرآن، أسباب النزول، الوحي، القرآن المكي، القرآن المدني، الآية، السورة، الاعجاز, القصة القرآنية.